
آزر
رواية
خالد محمد عبدالسلام

عنوان الكتاب: آزر

نوع العمل: رواية

التأليف: خالد محمد عبدالسلام

المراجعة اللغوية: ياسر عبدالله

الإخراج الفني: سالم عبدالمعز سواح (عمر سواح)

غلاف: محمد القديم

رقم الإيداع: 2021/25624

الترقيم الدولي: 978-977-6899-11-7

الناشر: دار (المثقفون العرب)

آزر

رواية

خالد محمد عبدالسلام

"أهدي هذا العمل الأدبي إلي روح أبي الزكية الطاهرة،

التي رحلت عن عالمنا،

ولكنها لم تفارق قلبي ولو لبرهة من الوقت،

وأسطر بدموع عيني وحبر قلمي عجزي عن شكره،

فقد قدم إِلَي الكثير والكثير،

فاللهم أجزه وأمي وإخوتي عني خير الجزاء،

واجمعني بهم علي خير في جنات النعيم"

الفهرس

مقدمة:

بسـم الله، والحمد لله، والصـلاة والسـلام علي رسـول الله، أما بعد، في بداية الأمر، يُعَد هذا العمل الأدبي بمثابة رؤية جديدة لأدب الرعب؛ ذي الطابع الكلاسيكي، فارغ المضمون، الذي يحمل في طياته محتوى هدامًا، لا يتوافق مع بيئتنا الاجتماعية والثقافية والـدينيـة، متمثلًا في العرض الخـاطئ لبعض قضـــايـا ومفـاهيم الميتـافيزيقـا في تلـك الأعمـال الأدبيـة، والـذي طرأ نتيجـة حتميـة لاتصـــال الثقافة العربية. متمثلة في بعض كُتّابنا ورؤوس أقلامنا بغيرها من الثقافات الأخرى في خضـــم عصرـــ العولمة وإيمانًا مني بقول الله تعـالى: **(فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)**.(الرعد:17)

ومن هـذا المنطلق، أردت إيضـــاح بعض الحقـائق الخفيـة المتعلقة ببعض المفاهيم الشـــائعة، ومنها حقيقة مفهوم: "لبس الجن" والفرق بينه وبين "مس الجن"، وأيضًـــا الفرق بين مفهوم العلاج "بالرقية الشرـعية" وخرافة "العلاج الروحاني"، وبيان الفرق بين لقب "الشـيخ" رمزًا دينيًا "والمشـعوذ أو الدجال" وبيان سـوء عاقبة الأخير، قال تعالى: **(ولا يفلح الســـاحر حيث أتى)**. هذا فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان خطأ أو زلل فمن نفسيـــ ومن الشيطان.

تل عفار

انتهى الـــــعام الدراسي وقرر المُهـــندس أحـــــمد الفقي اصطـــــــحاب أفراد أسرته المُكَوَّنة من زوجته الدكتورة "نجلاء" صـــاحبة الأربعين عامًا.. فهي طويلة القامة رشـــيقة البدن، تتميز بعينين زرقاوين كبيرتين. ما أجملهما خلف النظارة الشـــفافة! كأنها تُري الناظر إليهما جمالهما المطلق من وراء حجاب..

أما الابنة الكبرى "إيمي" فهي مُتوســـطة الطول، شـــديدة الجمال، متفجرة الأنوثة لا أقولُ كالقمر، لأنهُ لا يوفيها حقها.. تمتلكُ ما لا يُمتَلَك من بياض صافٍ كالحليب ووجه مُستدير بديع القسمات بهِ عينين زرقاوين هادئتين.

أما الابن الأصـغر "لؤي" فهو وسـيم الشـكل، بني الشـعر، طويل القامة، نحيف البدن، يرتدي نظارة شفافة دائرية العدسات.

أما عن المُهندس "أحمد" فهو خمري البشرـة، مُتوســط القامة، طويل العنق نحيف البدن حاد الطباع.

***

بعد أن انطلق المُهندس أحمد بالســيارة الســوداء الفارهة ببضـع دقائق، فكّ رابطة عنقه قليلًا، ثم فك بعض أزرار قميصـه، وأشـعل سـيجارة دون مبالاة بالضرـر الذي سـيلحقُ بأفراد أسرته، خاصةً ابنتهُ "إيمي" فهي تُعاني حساسية على الصدر. أما زوجتهُ، فكانت جالســة بجواره في المقعد الأمامي، وكانت ممســكة بهاتفها المحمول تتصفح صور عارضات الأزياء.

وفي المقعد الخلفي، جلســتُ أنا وأختي، وكنا نتحدثُ بصـوتٍ خفيض يُشبه الهمس، ونسترق النظرات خِلسة لأبي، ونتساءل عن

ســـبب رغبته في قضـــاء إجازة نهاية العام الدراسي في الأقصرـــ بالتحديد قرية (تل عفار) التي لم نرَها منذُ خمس سنوات.

***

وبعد مرور نصـف سـاعة ونحنُ سـائرون بالطريق، أمَسَـكت إيمي بهاتفها المحمول، ووضعت السماعتين في أذنيها، واستغرقت في مُشـــاهدة فيلماً رومانســـياً كعادتها، بينما أمســـكتُ أنا بهاتفي، وبدأت الاســـتماع لإحدى قصـــائد الشـــعر (هي لا تُحبك أنت).. وسرعـان مـا غلبني النُعـاس، قبـل أن أنتهي من الاســـتمـاع لتلـك القصيدة..

***

الأقصرـــ قريـة (تـل عفـار) بـالتحـديـد، فيلا المُهندس أحمد الفقي؛ بعد دقة الساعة العاشرة مساءً، جلس لؤي في غرفته، وأخذ يقرأ في إحدى الروايات، وبمرور الوقت تسـلل السَـأم إلي قلبه فقام من مجلســـه، وذهـب إلى شرفـة غرفتـه، ثم ارتشـــف القليـل من القهوة، ونظر إلى السماء وهي حاضنة للنجوم..

والأشجار وهي ترقص مع نسيم الهواء الصافِ، والأرض غارقة في هدوء الريف الســـاحر، ثم ارتشـــف القليل من القهوة مُجددًا، وأعاد بصرـه إلى الســماء؛ فوجد القمر مُكتملًا ولامعًا؛ فقال محدثاً نفســـه: "ما أجمل هذا الكون في تناســـق ألوانه! ظلام الســـماء الدامس وبياض القمر الساطع وحولهُ النجوم المُضيئة المُتناثرة في السماء كأنها لوحة مرسومة تحتوي على أفراد أسرة واحدة متكاملة مُتماسـكة ترجع إلى أصـل واحد، وما بينهم من اختلاف مُتمثل في شـدة بياض القمر والنجوم، وظلام السـماء الدامس تضـاد يُبرِز لنا معنى التأمل، ويوضحهُ في أذهاننا.

***

وفي اللحظة التي يهيم فيها في التأمل، رن هاتفهُ المحمول، فنظر إليه، وظهر على وجهه مظهران مُختلفان في آنٍ واحد، هما الدهشة والسعادة، أما الدهشة لأنه لم يتوقع أن تتصل بهِ صاحبة هذا الرقم "لارا"، وأما السعادة لأنه يحبها أكثر من نفسه ومن أي شيء. فهي لهُ الحياة بجميع ألوانها ومعانيها وأغانيها؛ فحين يراها، يخفق قلبهُ، وتنفرج أساريره، ويشعر بسعادة غامرة...

وأخذ يفكر بتوتر ويقول في نفسه:

- معقول تكون حست بيا؟ ثم أمسك بهاتفه، وفتح ليسمع صوتاً أنثوي يقول:

- ألو ازيك يا لؤي عامل إيه؟

فاستحوذ عليه التوتر مجدداً؛ فابعد الهاتف عن أذنه وقال بصوتٍ يزغرد من الفرح (أنا أكيد بحلم)، ثم وضع الهاتف على أذنه مجدداً ليسمعها تقول:

-. أنت روحت فين يا لؤي..؟

- أنا معاكي.

- ممكن أكلم إيمي عشان برن عليها ومش بترد؟

- ثانية واحدة ويكون التليفون عندها!

فاسرع مهرولًا إلى غرفة إيمي وطرق الباب بقوة؛ فأذنت له بالدخول فدخل، ليجدها جالسة على السرير، ومستغرقة في مداعبة قطها الصغير ذي الفراء الأبيض. فباغتها قائلاً بصوتٍ عالٍ وقد زالت الابتسامة من وجهه وحل مكانها الغضب:

-. أنتِ مش بتردي على لارا ليه..؟

فصمتت هنيهة محاولة تفسير انفعاله الشديد غير المألوف، ثم أردفت:

- أنت زعلان علشان مردتش عليها ولا في سبب تاني..؟!

فقال وهو يشيح وجههُ صوب الباب:

- لا مفيش حاجة..

ثم ذهب إلى غرفته، ورجعت إيمي لاستكمال حديثها مع لارا؛ من هاتفها الشخصي..

- ألو لارا أخبارك إيه؟

- الحمدُ لله برن عليكي مش بتردي..

- آسفة والله مكنتش سامعة الموبيل وهو بيرن؛ قوليلي بقا إيه الموضوع اللي عايزاني فيه..؟

فأخذت لارا نفسًا عميقًا ثم زفرته ببطء كأنها تستنشق أنفاس محبوبها، وقالت:

- دكتور عمر، ثم انتابها الصمت.

فتابعت إيمي مستفهمة:

- ماله؟

- شكلي كده وقعت في حُبه..

- أنتِ أكيد مجنونة ده قد باباكي!

- إيمي أنتِ عارفة إن الحُب ميعرفش يفرق بين كبير وصُغير.. غني وفقير.. والدليل إنك بتحبي (آزر).

- آزر بالنسبالي مُجرد صديق مش أكتر.

- طب اهتمامك بيه وسؤالك عنه ده كأن الدفعة مفيهاش غيره؛ أنا مش عارفة أنتِ بتحبي إيه في الجربوع ده؟!

- لو سـمحتي يا لارا متتكلميش عن آزر بالشـكل ده، وبعدين الفقر مش عيب دي تقسيمة ربنا..

فقالت لارا بأسلوب من يجيد السفسطة:

- أنا مش مُقتنعة بكلامك.. بس أنا مُضـطرة أقفل معاكي دلوقتي علشان ماما بتنادي عليا يلا باي..

انتهت المُكالمة، وذهبت كل منهن إلى عالمها الخاص؛ فإيمي استحوذ عليها التفكير في كلام لارا، وحبها لآزر.

***

أما لارا، فتناسـت كل ما قالته إيمي، وأخذت تسـبح في عالم أحلام اليقظة، فتخيلت أنها جالسـة بجوار دكتور عمر على ظهر قارب صغير في بحيرة منعزلة عن البشر ومن حولها الأشجار الخضر والنخيل شـاهق الارتفاع والورود مُختلفة الأشـكال الألوان، وفوق الورود تطير الفراشـات الجميلة التي تُشـبهها في الجمال والرقة؛ ولكنها تفوقهم في اتسـاع العينين السـوداوين العميقتين والملامح الدقيقة الرقيقة؛ فأمسـك بيدها، وحدق بعينيها بهدوء، ثم طأطئ رأسه أرضًا خجلًا من أنوثتها الطاغية، وقال:

- جمالك بيحسسني إني كنت أعمى وفتحت وإني عمري ما شوفت ولا هشوف واحدة غيرك، أنتِ ايه بشر زينا ولا ملاك؟!

ثم ضُمها إلى حضنه، وألقت برأسها على كتفه، وهو يعبث بشعرها فسألته:

- بجد بتحبني..؟!

فأجاب.

- أنا مش بحبك أنا بموت فيكي..

فابتسـمت، وعانقته بشـدة كأنها تُريد أن تصـبح جزءًا منه، ثم اغمضت عينيها، وغاصت في عالمها الخيالي.

***

وفي اللحظة نفسها جلس لؤي وحيدًا حزينًا لا أنيس لهُ سوى قصائد الشعراء وعالمه الخيالي الذي صنعه بنفسه، ليشبع فيه ما حُرِمه في حياته الواقعية من حب، فتخيل نفســـه واقفًا أمام جمع غفير من الناس ومن بينهم لارا وكان يلقي علي مسامعهم واحدة من قصــائده الكثيرة التي لم يُقَدَّر لها أن ترَي النور بعد بســبب خجله الشديد، فهو يكتُب القصائد، ويحتفظ بها في مفكرته الصغيرة بدلًا من أن يلقها على مسامع الآخرين؛ فبدأ في إلقاء القصيدة قائلًا:

كل اللي راحوا أحباب

لكن أنت وجعاني..

أيام تعدي سنين

ومن الحب منعاني..

كان نفسي أكون موجود

وتكوني سمعاني..

لكن أنا منفي

والغربة منعاني..

فكرت يوم أمدح

لكن بقيت جاني..

فقعدت أنا أسرح

وأحتار في عمياني..

عايش في نفس غريب

حلمي كمال صورة..

لكن خيالي عجيب

شايفها مكسورة..

شايف فيها شجر در

ومجوهاش ليلى..

شافها سعادة بتمر

وآخرتها إيه زايلة..

وبعد أن أعياه التفكير لجأ إلى السرير قاصـــدًا النوم، وبعد بضع دقائق غلبهُ النُعاس فنام.

***

العطار

ذهب الأخوان لؤي وإيمي إلى مدينة الأقصر للتنزه وزيارة بعض المعالم الأثرية وشراء بعض لوازم البيت، وبعد قضاء وقتٍ مُمتع في المعابد الفرعونية والبازارات المليئة بالتحف والتماثيل المنسوخة من الآثار المصرية القديمة، توجها إلى شارع السوق حيث دكاكين العطارة كما وصفها لهما أحد المارة، وبالتحديد نصحهما بالذهاب إلى دُكان موسى العطار لِمَا لهُ من سمعة حسنة وصيت كبير، وهناك كان يدور الحديث بين الحاج موسى وبين مُعاذ العامل الجديد كالآتي:

معاذ:

- طقس اليوم معتدل الحرارة على خلاف العادة يا عم موسى.

عم موسى:

- الحمدُ لله يا ولدي، ولكنها ليست عادة شمسِنا؛ فهي قاسية شديدة مثلُنا تمامًا.

معاذ:

- ولكنها تُشبهنا في الجود والعطاء؛ فهي تجود علينا بالضوء والخير بدون مُقابل.

ضحك الحاج موسى بوقار وهيبة، يليقان برجل صعيدي أسمر البشرة ذي شارب مهاب ووجه كثير التجاعيد يوحي بخشونة البيئة التي يعيشُ فيها، ثم سألهُ:

- هل سيستمرُ معه في العمل مُدة محددة؟

فأخبره معاذ بأنهُ عامل دائم.

فابتسـم الحاج موسى ابتسـامة خفيفة كعابر سـبيل يمر بوجـه وعر التجـاويف من هموم الزمن، ثم اعتراه القلق كأنـه فرح لكونـه متعلمًا يجيدُ القراءة والكتـابة والحســـاب، ثم اجتاحـه القلق؛ خوفًا من أجره، فقد يطمعُ في أجر أعلى من غيره من الـذين لا يملكون إلا حمل الأثقال دون الأفكار، ثم جلس على كرسي مصـــنوع من الخشـــب ومُغطى بطبقة من الإســـفنج المُغَلَّفة بجلد أســـود يشـــبهُ إلى حدٍ كبير الأثاث المُصَمَّم على التراث الإسلامي، وأمامه مكتب صغير بني اللون به ثلاثة أدراج، يبدو أنهُ يضـع في أحدهم النقود وفي الدرجين الآخرين يضعُ الأشياء الثمينة.

***

خيم عليهمـا حـالـة من الصـــمت الـذي لا يخلو من التفكير، ومُعـاذ ينظر إليـه بتركيز مترقبًا مـا يقول أو يفعـل.. واســـتمرا علي هـذا الحال إلي أن دخـل فتي يدعي (حميدة) القهوجي وفي يده اليمنى صـــينية وعليها فنجان قهوة وكوب ماء شـــفاف يكاد لا يُرى من نظافة الكوب ونقاء الماء فيه، وفي يده اليسرى نارجيلة فضـية اللون مع القليل من النقوش الذهبية ولَيٌّ يحمل شـكل أفعى الكبرى؛ فابتسـم حميدة بوجه بشوش، وقال:

- السلام عليكم ..

بادله الحاج موسى نفس الابتسامة وقال:

- وعليكم الســـلام يا حميدة، يا ولـد الغـاليين، أخبـار أبوك وإخواتك البنات عاملين إيه..؟ فقال بعد أن وضـع الصـينية على المكتب والنارجيلة على الأرض:

- الحمد لله بخير بيســـلموا عليك وبيدعولك ليل ونهار، ثم اعطاه الّليَّ فوضـــعه في فمه، وبدأ في ســـحب الأنفاس من النارجيلة وإخراج الدخان من فمه؛ بينما انصرـــف حميدة.. فنادي عليه واعطاه مبلغًا من المال كعادته، فذهب حميدة متهلل الوجه، ثم عاد الحاج موسى لســـحب الأنفاس من النارجيلة، وهو يتأمل حال الدنيا وسُـــكانها، وقال بحزن وهو ينفث الدخان:

- دنيا ملعُونة..

فاســـتغرب معاذ من مقولته؛ ولكنه حاول مشـــاركته في الحديث لعله يخفف ما بِهِ من حزن أو يعلم أســـبابه؛ فقال بنظرة شاب متفائل لم يذق مرارة الفراق ولا ألم الاشتياق:

- الدنيا حلوة.!

فابتسم الحاج موسى بسخرية وأردف قائلًا:

- كل ما تعيش في الدنيا أكتر.. كل ما همومك تكبر وتكتر يا ولدي، واسأل مجرب.

حاول معاذ إثبات صحة كلامه قائلًا:

- الدنيا حلوة بكل ما فيها؛ فرح وحزن، لذة وألم، يعني مش جنة ولا هي نار وعذاب دائم.

فأشـــار الحاج موسى بيده إلى رجلًا مُسِـــنٍ جالس بجوار فرش خضار أمام الدكان، وقال:

- إيه ذنب الرجل ده يعيش حياته في عذاب دائم ما بين الفقر والمرض وهجر أهله لهُ؟ وإيه ذنب حميدة المســـكين تموت أمه وتســـيبه مع أب مشـــلول عاجز وإخوات بنات ملهمش حيلة؟ وغيره وغيره... يا مُعاذ أنت عامل زي النبات وهو

صـغير، الشـمس بتديله ضـوء وحرارة مُفيدة تخليه أخضر ومع مرور الوقت حرارتها تســخن وتبقى نار حامية تخلي الصغير يكبر والأخضر يدبل ويموت..

فقال مُعاذ محدثاً نفســه بعد أن يأس من إقناعه، ده غلب (شـوبنهور) المُتشـائم؛ لاحظ الحاج موسى أن مُعاذ قد شرد ذهنه، فسأله قائلًا:

- أنت سرحت في إيه؟

- مفيش أصل افتكرت آية في القرآن بتقول:

(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَــانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ).(سورة هود: آية 9)

وبمُجرد سماع الحاج موسى لتلك الآية سرت القشعريرة في جسده، فحاول تغيير الموضوع قائلًا:

- مش هتوريني شـطارتك وتقوم توضب الدُكان، وأنا هخلص فنجان القهوة وهساعدك.

فبدأ مُعاذ في رصِّ البضاعة أمام الدكان من لوازم العطارة والأعشـــاب، وبعد الانتهاء من ذلك شرع في تنظيف الرفوف ومســح الزُجاج، ولكنهُ أتي عند أحد الرفوف وأخذ ينظفه في عجالة كأنهُ قد تأذى من رائحة الأعشـــاب الكريهة؛ ولكنهُ اســـتمر في تنظيف الرفوف ومقاومة الرائحة الكريهة حتى يقنع صـــاحب العمل بأنهُ يتحمل المتاعب في العمل ولا يبالي، واستمر في هذا العمل الشاق إلى أن لفت انتباهه صورة لطفل يُشـــبه الحاج موسى داخل برواز قديم؛ فســـألهُ معاذ بفضول قائلًا:

- ابنك ده؟

فنظر الحاج موسى إلى رف فارغ، وتظاهر بعدم سماعه، ولكنهُ لم يســتطع إخفاء الحزن الذي اعتراه بعد أن ذكره بهِ؛ وبينما كان يحاول فعل أي شيء ليتجاهل ســؤاله، كان مُعاذ يراقبهُ في صمت.

وبعد دقائق اخرِج الحاج موسى ورقة وقلمًا من درج المكتب وكتب بعض النواقص، ثم اعطي معاذ الورقة ووصــف لهُ عنوان تاجر الجملة، واعطاه رقم هاتفه حتى يتواصل معه، فانصرف مُعاذ وفي عقله وابلاً من الأسئلة التي تدور حول ذلك العطار المُتشائم، وتلك الصورة التي تغطيها الأتربة...

***

أما عن الحاج موسى فقد جلس في حزن، واجهش بالبكاء وأخذ يغمغم حتى ابتل شــاربه وهو يرثي وحيدَه الذي فقدهُ منذ سنوات كأنهُ السبب في هلاكه، وبعد مرور خمس دقائق دخل الدكان لؤي وإيمي.

فتقدم لؤي خُطوة للأمام، ثم تراجع ونظر إلى البضاعة المرصوصة على الرفوف، ثم أمسك بعلبة بخور وشمها؛ بينما ضغطت إيمي بقدمها على قدمه، وهمست في أذنه:

- في ايه متقوله على الطلبات اللي عاوزينها خلينا نمشي من المكان المقرف ده أنا اتخنقت..

فاخرِج لؤي ورقة من حقيبتة الموضــوعة بجانبه، ثم اعطاها إياه

وقال:

- لو سمحت يا عمو أنا عايز الحاجات اللي في الورقة دي..

فأخذ منه الورقة وهو جالس، وقال بصـــوت مبحوح أنهكه التعب:
- ممكن تستنوا شوية لحد مُعاذ ما ييجي يحضرلكم الطلبات..
إيمي:
- لو هيتأخر ممكن نروح نجيب حاجة من الســـوبر ماركت ونرجع لك..
ثم ذهبا، ودخل علي أَثَرِهما مُعاذ ووجهه يتصـــبب عرقاً، فأنزِل من على كتفه شـوالًا ثقيل الحمل، ووضـعه على الأرض وقال:
- اتأخرت عليك يا حاج..
- لا يا ولدي، المهم خد الورقة دي وحضر الطلبات اللي فيها.
فأخذ معاذ الورقة، وبينما هو منشـغل بتحضـير الطلبات دخلـت عليهمـا الـدكان فتـاة منتقبـة، لا يرَ منهـا إلا عينيهـا السوداوين، وبهما نظرة ألم وانكسار.
بينمـا دخـل على أَثَرِهـا لؤي وإيمي؛ فنظر مُعـاذ إلى إيمي نظرة إعجاب وهو في حالة سُبات تامة كأنهُ خاضع لتأثير نوع من الســحر.. فحاول تعطيلهما أكبر قدر من الوقت فإعتذر لهما قائلًا:
- ممكن أمشّي الآنسة الأول، وبعدين أحضرلك الطلبات دي، قصدي أحضرلكم الطلبات..
فقالت إيمي:
- أوكي..
فنظر معاذ إلى الفتاة المُنتقبة وقال في عجالة:
- حضرتك عاوزة ايه..؟

- عاوزة زجاجة مســك أحمر، وســبعة جرام بخور كندر، ثم اقتربت منه، وهمسـت في أذنه ببضـع كلمات؛ فلاحظ الحاج موسى أن هُناك تغيرًا اعترى وجه معاذ فقال لهُ:
- حضر لها الطلبات اللي قالتلك عليها، وأنا هحضر لها باقي الحاجة..

***

تســاءل معاذ بدهشـــة؛ كيف اســتطاع الحاج موسى ســماعها وهي تهمس في أذنه؟! ولكنهُ تابع عمله. بينما فتح الحاج موسى درج المكتب الثاني، وأخرج منه شــيئًا كريه الرائحة يُشــبه عظام الدجاج البالي، ووضـعه في كيس رمادي مطبوع عليه اســم الدُكان "موسى العطار". واعطاه لمعاذ وهو ينظر للفتاة المنتقبة، بينما هي تحدجه بنظرة قاســية وعيناها شــاخصــتان كالتمثال، أما عن إيمي فأخرجت من حقيبتها علبة مناديل فأعطت لؤي منديلًا، وأخذت هي منديلًا فوضــعته على أنفها وكذلك لؤي، ثم حاولت إعطاء الفتاة المُنتقبة منديلًا فرفضـت بشــدة، لأنها خجول أو لأنها مُعتادة تلك الرائحة الكريهة، ثم سـألت الفتاة بصـوت أجش لا يشبه صوتها ولا يوحي بأي أنوثة:
- كم الحساب؟

فنظر إليها الجميع باســتغراب أما الحاج موسى، فأخذ يحدجها بنظرات متفحصه كأنهُ طبيب نفسي. يُراقب ويحلل سلوك مريضه.

لم يســتمر هذا الحال كثيرًا؛ فبدأت الفتاة بالدوران حول نفسـها، ثم نظرت إلى إيمي وهي تفرق وتشـبك أصـابع يديها،

ثم وضعت ذراعها الأيمن إلى نهدها بينما ذراعها الأيسر. التفَّ بقوة ورجع خلف ظهرها، وأنحنت قامتها وهي تنطق بكلمات تُشبه طلاسم السحر إن لم تكن طلاسم بالفعل..!

الجميع ينظرون إليها والدهشة لم تزايلهم، أما هي، فاقتربت من إيمي، وأخذت تنظر إليها، ثم بدأت في تمزيق ثيابها، وأخذت تردد:

- من جسمٍ مُظلمٍ إلى جسمٍ مضيء أنتِ ملك لصاحب التراب، أنتِ ملكي يا صاحبة الجمال الفاني والجسد البالي؛ فسرت القشعريرة في جسد إيمي فور سماعها لتلك الجمل، فارتعد جسدها وشعرت ببرودة في أناملها وبدوخة وتعب مفاجئ ، وكان هُناك جسمًا دافئًا يُلامس جسدها من تحت الثياب، فسقطت على الأرض فاقدة للوعي...

***

تقدم الحاج موسى باتجاه الفتاة المنتقبة، وأخذ يغمغم بكلمات لم يسمعها إلا هو ولم يفهمها إلا هي، بينما كانت الفتاة تتراجع للخلف وتضع يديها أمام وجهها كأنها تخشى أن يحل عليها عذاب أليم؛ فازدادَ غضبها، وجحظت عيناها، ثم خلعت النقاب، والقت به أرضًا، فظهر وجهها الغاضب كأنهُ وجه شيطان مارد وأخذت تردد:

- بشر ملعونين.

تجاهل الحاج موسى ما قالته، وتابع قراءة آيات الرقية الشرعية **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ**

مِنْ أَحَـدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَـا نَحْنُ فِتْنَـةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَـارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ). (البقرة:102)

تابعت الفتاة البكاء بصوتٍ مبحوح وهي تئن، وتضع أصابعها في أذنيها وتصرخ: "كفاية.. كفاية"، بينما تابع هو بدوره القراءة؛ فازدادَ خوفها المصحوب بالرعشة والبكاء، ولكن الغريب هنا إنها توقفت عن البكاء، وقالت بثقة: "الملوك متتحرقش، الملوك متتحرقش"، وبعدها فقدت الوعي، وسقطت على الأرض مغشيًّا عليها بجوار إيمي. ولؤي ومعاذ متسمران في مكانهما في حالة ذهول من شدة الهلع..

***

طلب الحاج موسى من مُعاذ ولؤي أن يحملا إيمي ويجلسانها على أحد الكراسي وهكذا الفتاة المنتقبة، فحملا إيمي وأجلسانها على كرسي أمام المكتب، بينما امتنع لؤي عن حمل الفتاة المنتقبة؛ خوفًا منها، ثم أخرج زجاجة عطر من حقيبة إيمي ووضع القليل منها على راحة يده، ثم وضعها على أنفها فأفاقت وأمسكت بيده مستغيثة كمن وجد ضالته في وسط صحراء جرداء بعد أن فقد الأمل، وقالت:

- طلعني من هنا يا لؤي أنا عاوزة أروح...
- حاضر هنروح.

ثم أخرِج مفتاح السيارة من حقيبته، وضغط على أحد أزرار الريموت ففتح باب السيارة، بينما نهضت إيمي بمساعدته وتوجها إلى السيارة ومن ثم إلى قرية (تل عفار).

أما العطار، فقد جلس على الأرض القرفصـــاء بجوار الفتاة المنتقبة، وأمســك زجاجة المســك، ووضــع منها على جبهتها وهو يحرك شفتيه ويتمتم، وينظر إلى موضع المسك على جبهتها كأنه يكتب شيئًا ما، فأفاقت الفتاة ونهضت وهي تنظر حولها في فزع كمن نجى من حرب دامية مميته، وأخذت تنظر إلى ثيابها الممزقة؛ فوجدت نقاط دم، فظنت أنها قد فقدت عذريتها على يد أحدهما..

فصرخ من أعماقها بصــوت عالٍ، وتابعت البكاء حتى اجتمع الجيران والمارة أمام الدكان، ثم أمسـكت بطرف ثوبها من الأســفل، وركضـــت مُسرعة بينما الجميع كانوا ينادون عليها، ولكنها لم تسـتجب لهم كأنهم يُنادون عليها من مكانٍ بعيد، حتى غابت عن أبصارهم داخل أحد الأزقة..

***

وصـــل الأخوان بعد نصـــف ســاعة إلى قرية تل عفار، وبالتحديد فيلا ذات طابع كلاســيكي، يحيط بها الأشـــجار ونخيل الزينة من كل مكان كأنهُ حرساً للفيلا.

وانطلق لؤي بالسـيارة في طريق مُسـتقيم مُتجهًا إلى مبنى الفيلا، وعندما وصل إلى الدرج المؤدي إلي مبني الفيلا ضغط على مكبح الفرامل فتوقفت الســيارة، وقبل أن يفتح الباب وجد أمامه رجلًا ذا عمامة بيضــاء على رأس ضــخم ووجهه شــديد الســواد، أما باقي أوصــافه فتوحي بجحود قلبه؛ فنظر إليه لؤي من أعلى إلى أســفل، بينما رحب بهِ الرجل قائلًا بصوت أجش:

- يا مرحب يا مرحب يا لؤي بيه..

ثم مد يده من باب الســيارة بعد أن مســحها في ثيابه فســلم عليه قائلاً:

- والله وكبرت يا سعادة البيه..! وكمان بقيت طولي؛ فابتسم لؤي ابتسامة خفيفة مجاملةً له وقال:

- أنا مشــوفتكش من ســنين كتير، لكن حضرتك زي ما أنت متغيرتش.

اقترب متولي من السيارة، وخفض رأسه وحدق بعينيه الخبيثتين إلى إيمي كأنهُ يراها لأول مرة وقال:

- الهانم الصغيرة نايمة زي الملائكة، ما شاء الله كبرت وبقيت عروسة.

حاول لؤي إنهاء الحديث معه قائلًا:

- معلش أنا راجع تعبان ممكن بعدين نكمل كلامنا..

- طب فين الطلبات علشان أوصلهالك..؟!

- لا مش عاوز أتعبك معايا وبعدين دي حاجات بســيطة، فذهب متولي؛ ثم أيقظ لؤي إيمي ونزلا من الســيارة وحين شرعت إيمي بتحريك قدميها والمشي ــ شــعرت بألماً حاداً منعها من ذلك، فتوقفت وقالت:

- لؤي، أنا رجلي منملة وجســمي كله متكسر ــ فقال محاولًا طمأنتها:

- أنا كمان رجلي منملة من القعدة في العربية، طب اتســندي عليا وأنا هوصلك لأوضتك.

فأمسك بيدها وساعدها على ارتقاء الدرج، ثم توجها إلى حجرتها مباشرة، وهم في الطريق التقيا بفتاة صــغيرة تُشــبه

متولي في الكثير من الأوصاف كالعينين وملامح الوجه، وكانت ترتدي إحدى ملابس إيمي القديمة، فسألها لؤي:

- أنتِ مين وبتعملي ايه هنا..؟

- أنا صباح

- صباح مين..؟

- صباح بنت متولي اللي بيزرع لكم الأرض وجاية أنضف الفيلا...

- إيمي ماما فين..؟

- الهانم الكبيرة في أوضتها.

لؤي:

- طب اندهيلها وبعدين بلاش بيه وهانم...

ثم ذهبا إلي غرفة إيمي؛ فجلست إيمي على السرير في إعياء، بينما جلس لؤي بجوارها، وبعد لحظات شعرت إيمي أن أحشاءها تتمزق؛ فأمسك بيده وكلما ازداد عليها الألم، ضغطت فى يده أكثر وأكثر..

بينما لاحظ لؤي ارتفاع درجة حرارتها من ملمس يدها فالتفت إليها ببطء وقد بدا عليه القلق، وبعد دقائق دق الباب ودخلت الدكتورة "نجلاء" فسألت إيمي:

- بنوتي الجميلة حاسة بإيه..؟

- حاسة إن بطني بتتقطع وجسمي سخن.

فأخرِجت من حقيبتها ترمومترًا ووضعته في فمها، فوجدت درجة حرارتها طبيعية، فدهَش لؤي من ذلك، ووضع يدهُ على جبهتها فوجد حرارتها مُرتفعة، ولكنهُ لم يخبر والدتهُ بذلك، لأنهُ مُدرك تمامًا أن مرض أخته لا يرجع

إلى سـبب عضـوي، بل يرجع إلى أسـباب أخري تتعلقُ بعالم (الجن).

أما الدكتورة نجلاء، فأجرَتْ اتصـــالًا هاتفياً بأحد فروع صـيدلياتها الموجودة بالأقصرـ وطلبت منهم بعض الأدوية للمغص ونوعًا من

البرشام مُسكنًا للألم يُستَعمَل عند اللزوم. وحين أنهت المُكالمة وجدت إيمي قد نامت، فقَبَّلتها من جبهتها وخرجت هي ولؤي، ثم ذهب كل منهما إلى غرفته مُباشرة.

***

دكتور سام

الساعة التاسعة مساءً، اليوم قد انتهى بالنسبة لسكان قرية (تل عفار)؛ فالبيوت مُظلِمة.. والأبواب مُؤصدة.. والشوارع غارقة في سكون تام، فلا يؤنس وحدة المارة في تلك الشوارع الفارغة سِوَي أعمدة الكهرباء مكسورة المصابيح بالإضافة إلى بعض الكلاب الهزيلة التي تُشبه المومياوات من شدة ضعفها ونحافتها.

***

واستمر لؤي في المشي في أحد الشوارع الخالية من المارة حتى وصل إلى تقاطع في نهاية الشارع، ثم وقف والتفت يمينه ويساره، فلم يجد أحدًا سواه؛ فانتابه شعور بالخوف والحيرة، وفُكر هنيهة، هل يرجع إلى الفيلا ويقضي باقي الوقت وحيدًا بعد أن ذهب أبويه إلى مدينة الأقصر لزيارة عمه. وتركوه مع إيمي التي خلدت إلى النوم أم يكمل السير لعلهُ يجد ما يسره ويؤنس وحدته في تلك القرية الصغيرة؟!

فانتهي بهِ التفكير إلى أن أكمل السير فانحدر يمينًا، ثم تابع السير حتى وجد مقهًا صغيرًا مُكَوَّنًا من حجرة صفراء اللون كئيبة المنظر، وأمامها بعض الطاولات والكراسي الخشبية، ويعلو الحجرة شجرة ضخمة.

فتقدم وهو يلتفت حوله في خجل كأنه يشعر بأن الجميع يُراقبونه، فجلس على أحد الكراسي وانتظر أن يأتي إليه أحد ليسأله عن مشروبه، ولكن أحدًا لم يأتِ واستمر

على هذا الحال إلى أن لاحظ وجوده شـــاب جالس بمفرده على الطاولة المُجاورة له، فسأله قائلًا:

- تشرب إيه..؟

- قهوة إسبرسو..

فضحك الشاب بشكل هستيري، وهو يُقلب كفيه من الدهشـــة مما لفت انتباه الجالســـين حولهما؛ فشـــعر لؤي بالحرج، ولكنهُ حاول التماسك وإخفاء ذلك الشعور.

أما الشاب، فذهب بدوره وأحضر لهُ كوبٍ من الشاي وُقدمهُ لهُ فشـكره، ثم رجع الشـاب إلى مكانه وظلا يتبادلان النظرات، فكلاهما يجلس بمفرده وكلاهما يريد التعرف على الآخر بدافع الفضول.

وبعد فترة قصيرة سألهُ الشاب قائلًا:

- شكلك مش من هنا..؟

- لا أنا من هنا بس عايش في القاهرة.

- اسمك ايه..؟

- لؤي، وأنت؟

- أحمد سمعان من عيلة السماعنة. وأنت بقى عيلتك اسمها ايه؟

- عيلة الفقي، وبابا اسمه أحمد الفقي.

فرحب بهِ أحمد، ثم قام وجلس بجانبه علي أحد الكراسي، وظلا يتحدثان عن أوجه الاختلاف والشـــبه بين الريف والمُدن وأيها أفضل كأنهما صديقان منذ زمن بعيد..!

وبعد فترة أتي شاب آخر، فسلم

عليهما وســـأل أحمد عن أحوال المقهى في غيابه، فقال ساخراً:

- زي ما أنت شـــايف الناس مش لاقيين كرسي في القهوة، ونفسهم يشربوا من ايدك قهوة إسبرسو..

فضحك الشاب وتابع مستفهماً:

- ويطلع ايه الإسبرسو ده؟! وبعدين مش تعرفنا على الأستاذ شكله من أصحابك بتوع الجامعة..!

- ده الأســتاذ لؤي ابن المُهندس أحمد الفقي من عيلة الفقي؛ فرحب بِهِ الشاب مجدداً، ثم سألهُ قائلًا:

- تشرب ايه بيبسي، شاي..!؟

- شكراً أنا لسه شارب.

ثم جلس الشاب بجوارهما وسأل لؤي قائلًا :

- مش برضو عمك يبقى عادل الفقي عضو مجلس الشعب..؟

- آاه، هو.

- بس أنت مش شبه قرايبك..؟!

- قصدك في الشكل..؟

- في الطبع، أنت مُتواضع عكسهم تمامًا.

بعد فترة قصيرة رن هاتف لؤي، فأخرجه من جيبه ونظر إليه، فوجد المتصل إيمي، ففتح وإذ بها في حالة انهيار عصبي فلم يســتطيع فَهْم ما تقول من شـــدة بُكاؤها، ولكنهُ حاول طمأنتها، ومن ثم توجه مُسرعًا إلى الفيلا وتبعه أحمد، وهما في الطريق قص عليه ما حدث لهما من أمور غريبة عند العطار ومرض أخته مجهول الســبب، فطلبُ منه أحمد رقم

هاتفه لكي يطمئنَ على سلامة أخته فأعطاه إياهُ في عجالة، ثم تركهُ أحمد وعاد أدراجه، بينما تابع لؤي السـير حتى فُوجئ بإيمي واقفة خارج سور الفيلا بملابس نومها الخفيفة وهي في حالة ذعر! وحين رأته توجهت إليه مُسرعة فعانقته وهي ترتجف هلعًا فسألها قائلًا:

- في ايه طمنيني..؟

فأجابته:

- بعد ما نمت حلمت بواحد شكله بشع فتح باب أوضتي، ودخل صحاني من النوم، بعد كده لقيت نفسي معاه في البيت المهجور اللي ورا الفيلا..

فقاطعها قائلًا:

- ايه الكابوس الغريب ده..؟!

فتابعت سرد أحداث الحلم:

- الأغرب من كده إن الراجل قال كلام غريب مافهمتوش، بس أول ما سمعته اترعبت وحسيت إن قلبي هيقف وبعد كده اتحول كومة تراب، وأنا صحيت من النوم مفزوعة فلقيته جنبي على السرير..

- طب وأنتِ عملتي ايه؟

- قريت قرآن فلقيته اختفى، وبسرعة خرجت من الفيلا.. بعد أن استمع لؤي لهذا الكابوس سرت القشعريرة في جسده، فأمسك بيد إيمي وانطلقا دون أن يأخذ أحدهما شيئاً من أغراضه، فاستقلا السيارة وانطلقا متجهين إلى محطة قطار أرمنت، وكانت إيمي قد ارتدت ثيابها آنذاك.

***

وصل الأخوان إلى محطة القطار، وتوجها إلى شباك التذاكر مُباشرة، فسألت إيمي أحد الموظفين عن موعد أقرب قطار مكيف مُتجه إلى القاهرة؛ فأخبرها بأن القطار المُكيف قد غادر المحطة مُنذ بضع دقائق، والقطار الذي يليه غير مكيف وموعد قيامه بعد نصف ساعة من الآن. فشكرته وذهبا إلى أحد المقاعد لكي ينتظرا القطار، وبعد مرور ربع ساعة جاء رجلًا طويل القامة نحيف البدن هادئ في حركاته، يبدو عليه الوقار، لا توجد بهِ أي علامة تميزه عن غيره سِوَي زيه الغريب الذي يُشبه كثيرًا زي الأُدباء والمفكرين المُكَوَّن من بذلة قديمة رمادية اللون وقبعة بنية وحقيبة سوداء تُشبه حقائب أساتِذة الجامعات، فأخرِج منها كتابًا ضخمًا وفتحهُ وأخذ يقرأ، بينما التفت إليه لؤي في تردد وكان يُريد أن يسألهُ عن شيئاً، ولكنهُ لم يمتلك الشجاعة الكافية لسؤاله؛ فهو يخشي من طرح الأسئلة علي الآخرين حتي لا يظنون أنه لا يمتلك القدر الكافِ من الخبرة والذكاء، فنظر حولهُ فوجد المحطة قد امتلأت بالمُسافرين والحقائب والباعة الجائلين؛ الجميع يتحدثون بأصوات مُرتفعة ومُتداخلة، فمن المُسافرين من يسأل عن الساعة، ومنهم من يتحدثُ عن مُشكلاته في العمل، ومن يلعن الغربة ويسبُّ السفر، ومن الباعة الجائلين من يعرض سلعته للزبائن.

***

وبعد دقائق لاحِظ الرجل الجالس بجانبه تركيزُه معهُ؛ فسألهُ إن كان يُريد مُساعدة..! فابتسم لؤي وسألهُ عن سبب تأخير القطار، فأخبرهُ بأن هُناك إصلاحًا في قطبان السكة

الحديدية عند مركز إسنا نتيجة حدوث هبوط في الأرض، ثم أشـــعـل الـرجـل ســـيـجـارة وســـألـهُ قـائـلًا:
- أنت بتدخن؟
فأجابهُ لؤي:
- لأ.
فقال:
- حتى لو كنت بتدخن أنا مكونتش هديلك سيجارة.

حينئذ شـعر لؤي بنوع من الحنق؛ وسـألهُ عن السـبب فأخبرهُ بأنهُ أسـتاذ جامعي في جامعة حلوان بالتحديد في كلية الخدمة الاجتماعية، وبأنهُ يُجري بحثًا عن التدخين في مرحلة الشـباب أسـبابه وأضراره وطرق الوقاية منه. ولهذا السـبب ســألـهُ عـمـا إذا كـان يُـدخـن الســجـائـر أم لا..

ودار بينهما حديثاً مطولاً؛ فشــعر لؤي بمُتعة لا مثيل لها في التحدث معهُ والإنصــات إليه نظرًا لمعلوماته الغزيرة ونصـائحه الصـادقة المُفيدة بالإضـافة إلى أسـلوبه السـهل المُبسَط للمفاهيم والأفكار الصعبة المعُقدة.

فقص عليه لؤي ما حدث عند العطار وما رأتهُ أختهُ في الفيلا، فانتاب الرجل حالة من الصمت، ثم إعتذر له قائلًا:
- أنا مش هقدر أفيدك، لأني مش مؤمن (بلبس الجن).
- إزاي حضرـتك مش مؤمن ب"لبس الجن" ودا مذكور في الـقـرآن والسُـــنـة؟! فـابـتســم الـرجـل قـائـلاً لـهُ:
- المذكور في القرآن والسـنة (مس الشـيطان)، وده بيكون في صــورة وســاوس؛ والوســاوس بتختلف دراجتها من حالة لآخري، أما "لبس الجن" عند العوام أصحاب التفكير الخرافي

بيكون المقصود بيه اختراق الجن لجسد الإنسان.. وتحكمه في إرادته.. وفي كل أقواله.. وأفعاله.. أو بعضـــها، وده مُخالف للدين الإسلامي من عدة جوانب.

منها على سبيل المثال لو تمكن الشيطان من السيطرة على إرادة الإنســـان الحرة؛ لكان خلق الله للجنة والنار عبثًا، والعبث مُحال على الله سبحانهُ وتعالى، لأن الثواب والعقاب نتيجة لاختيار الإنســـان الحر المُكلف للخير أو الشر أما الإنسان الملبوس بيبقى مُسير مش مخير. وفي حالة إنه مجبر على أعماله يبقى مفيش داعي لوجود الجنة أو النار، طبعًا أنت مش فاهم كلامي بس بالمثال يتضـــح المقال: "لو قتل الإنســـان الملبوس رجلًا وجاء يوم العرض على الله تعالى لكي يحاسب القاتل، فمن يستحق دخول النار.. الشيطان الذي استحوذ على الإنسان أم الإنسان الذي حمل بيده السلاح وقتل؟".

- والإجابة من القرآن قول الله تعالى على لسان إبليس:

(وَقَالَ الشَّــيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُــلْطَانٍ إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). سورة إبراهيم 22

- الآية دي بتحمل عدة أدلة منها **(إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)**، أي استجبتم لدعوتي لكم، وأيضًا (وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) ولم يقل وأجبرتكم، وأيضًا **(وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُــلْطَانٍ)** أي إنها مُجرد دعوة لفعل المعصية أو ترك الطاعة عن طريق

الوســاوس المُســتمرة، ولكن ذلك يحدث دون إجبار لأن الله لم يجعل للشيطان سلطانًا على الإنسان، والأمر الثاني لو كان معنى المس هكذا لكان للشيطان سلطان على بعض الأنبياء، بدليل قول الله تعالى على لسـان سـيدنا أيوب: **(واذكر عبدنا أيوب إذ نادي ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب).** سورة ص الآية 41

ولكن المعنى الصحيح "لمس الشيطان" هُنا أن الشيطان كان يأتي إلى نبي الله أيوب، ويقول لهُ في صـــورة وســـاوس مســـتمرة إنهُ ليس نبي مُرسَـــل، وإنهُ لو كان كذلك لدعى الله فرفع عنهُ البلاء.

فقال لؤي مقاطعًا لحديثه:

- طيب ما الآية بتقول **(مسـني الشـيطان بنصـب وعذاب)** يعني شئ حسي نتج عن إيذاء الشـيطان له في ماله وجسـده وأهله؟

فقال الدكتور الجامعي وهو ينظر جهة الجنوب إلي القطار وقد لاح في الافق.

- في هذهِ الآية قولان الأول: أن الآلام والأسـقام الحاصـلة له إنما حصـلت بفعل الشـيطان، ولكن سـيدنا أيوب نسـب النصـــب والعذاب إلي الشـــيطان تأدباً مع الله عز وجل.. والقول الثاني: إنها حصـــلت بفعل الله ســـبحانه وتعالي، والعـذاب المضـــاف في الآيـة إلي الشـــيطـان هو عـذاب الوسواس، وإلقاء الخواطر الفاسدة، وفي كلتا الحالتين مفيش دليل علي أن الشـيطان له سـلطان علي الإنسـان بمعني انه يقدر يتحكم في إرادته الحرة ويجبره علي فعل أي شئ كما ورد في الآية سالفة الذكر.

- طيب وحضرتك بتميل لأي رأي.
- مش هينفع تتبني الرأي الأول غير وأنت مؤمن بقول الله تعالي **(وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).** (البقرة:102) لكن أن بميل للرأي الثاني وعرضت لك الاتنين من باب الأمانة العلمية.
- تمام أنا كده اقتنعت بكلام حضرتك بس اللي شفناه عند العطار، واللي حكتهولي إيمي ده يبقى ايه؟ وقبل أن يُجيبه الدكتور الجامعي وجد القطار قد وصل إلى المحطة؛ فاستيقظت إيمي، ثم ركبا القطار بصحبة الدكتور الجامعي. فوجدوا القطار مزدحمًا ورائحتهُ كريهة بسبب العرق الناتج عن ارتفاع درجة الحرارة والازدحام الشديد، حاول الدكتور الجامعي التقدم إلى مُنتصف العربة، لأنها أقل ازدحامًا، فتبعهُ الأخوان، وهما ينظران حولهما كأنهما في كابوس مخيف، وينتظرا أن يفيقا منه، فالوجوه حولهما عابسة تكاد لا ترَي من دخان السجائر الذي شَكّل سحبًا من الضباب الكثيف، والأصوات مرتفعة ومُزعجة بين الباعة الجائلين، والركاب القادمين من الخلف والراجعين من الأمام، الكل يبحث لنفسه عن كرسي ليريحه من عناء السفر. وبمرور الوقت بدأ القطار في التحرك، فقام أحد الشباب الجالسين، وترك الكرسي لإيمي، فشكرتهُ على ذلك، ثم جلسُت وبعد دقائق غطت في نوماً عميق. بينما نظر لؤي حوله، فوجد الجميع قد استقروا في أماكنهم؛ فالجالس جالس والواقف واقف لا أحد يتحرك سِوَي الباعة الجائلون بالكاد، فقال للدكتور الجامعي:

- إحنا ممكن ننزل المحطة الجاية ونركب أي قطر مكيف..؟

فرفض ذلك الاقتراح، ثم قال:

-ـ عارف ايه الحكمة من الصيام؟

- أنا عارف إنه مُفيد للجسم..

- وعلشـــان تحس بالفقير البائس اللي أحلامهُ بالنســـبالك كابوس.

حينئذ صمت لؤي وأنصت لشكاوي الناس من حوله؛ فمنهم مَن كان يشــكو الفقر المُضــقع، ومنهم من يشــكو المرض، ومنهم من يشكو آلام نفسية كالاكتئاب والإحباط وغيرها.

إلى أن اســترعي انتباهه حديث امرأة مســنة كانت تجلس بجوارهم في طرقة عربة القطار حيث قالت:

- بعد ما مات جوزي وسابني في الدنيا وحيدة من غير مال ولا ولد، الناس بهدلوني حتى أهل جوزي طمعوا فيا وخدوا ورثي ورموني لكلاب السكك ينهشوا فيا، ثم اجهشت بالبكاء فتأثر الجميع بكلامها وقام أحد الرجال الجالسين وترك لها الكرسي، وهو يقول:

- إحنا كلنا إخواتك ولو العبد ظلم ربنا كبير ولا بيغفل ولا بينام.

بعد أن ســمع الدكتور الجامعي كلام تلك المرأة تأثر فأشــعل سيجارة وقال محدثاً لؤي:

- مش أنت لوحدك اللي عندك مشاكل في اللي ناقصه المال، وفي اللي ناقصه الصحة، وفي اللي ناقصه الولد، وفي اللي معاه كل ده ومش لاقي السعادة..

- هو أنا ممكن أسأل حضرتك سؤال..؟

- اتفضل

- حضرتك مُتعلم ومثقف، وكمان بتدرس مشكلات المُجتمع والناس وبالذات التدخين، ليه بتدخن؟!

فقال الدكتور الجامعي بعد أن غشيه الحزن:

- باب النجار مخلع..!

ثم أخرِج علبة السجائر من حقيبته وألقاها تحت قدمه وبعدها توقف القطار في المحطة، فسلم عليه الدكتور الجامعي، ومن ثم توجه إلى الباب واستعد للنزول؛ فلحق بهِ لؤي مُسرعًا وقال:

- لو سمحت يا دكتور.. ممكن رقم حضرتك!

فأُخرِج من حقيبتهِ بطاقةً واعطاها إياه، وقال لهُ في قطر مكيف بعد ده ممكن تنزلوا وتركبوه هيسهل عليكم عناء السفر، خد بالك من نفسك ومن أختك ومتسيبهاش لوحدها، ثم نزل من القطار، ورجع لؤي ووقف بجانب إيمي وهو يُفكر في كلام هذا الرجل المُثقف غريب الأطوار، وكيف استطاع إقناعه بعكس الأفكار الراسخة في ذهنه إلى أن شعر بالإرهاق والنعاس، وبعد دقائق قامت المرأة الجالسة بجوار إيمي، وتركت لهُ الكرسي حين اقتربت محطتها، فجلس ووضع السماعتين في أذنيه، واخذ يستمع لمُوسيقى هادئة محاولًا فصل نفسه عن الضوضاء المُحيطة بهِ، وهو ينظر بعمق من نافذة عربة القطار مكسورة الزجاج إلى القمر في كبد السماء، حتى غلبهُ النعاس؛ فرأي نفسهُ في الحلم جالسًا أمام الدكتور الجامعي الذي التقاه في محطة أرمنت في مكتبه، فسألهُ قائلًا:

- اســــم حضـرتــــك ايــــه..؟

فأشـــار الدكتور إلى البطاقة التي أعطاه إياها، فنظر لؤي إلى البطاقة وقرأ الاسم بصـوت عالٍ، فسـمعتهُ إيمي وكانت قد اسـتيقظت من النوم آنذاك دكتور (سـام نور الدين) فطلب منهُ لؤي مساعدته في حل مشكلته، فأشار الدكتور إلى كتاب أمامه على المكتب؛ فتذكر لؤي شـكل هذا الكتاب الذي كان بحوزة الدكتور الجامعي في محطة القطار.. ثم اسـتيقظ من النوم مفزوعًا على أصـوات نبيئة وشـتائم بذيئة لم تَرِد على سـمعه من قبل. فبينما يكيل الشـاب الجالس أمام إيمي الشتائم لأحد الشبان المارين في طرقة العربة ذهابًا وجيئةً، لا هدف له سوي التحديق بإيمي وهي نائمة والتحرش بها، بعد أن اسـتيقظت وهي في حالة سُـبات تامة كأنها لا تفهم ما يقول؛ فهي لا تعلم بكونه متحرشًـا إلا من خلال إيماءته الشهوانية ولغة جسده العدوانية.

واستمرت المُشاجرة بين الشابين بينما ساعد أحد الرجال إيمي في الذهاب بعيداً عن هذهِ المشاجرة وتبعها لؤي راجعين إلى الخلف فرارًا من تلك المعركة الضـارية، وبعد لحظات توقف القطار على رصـيف محطة أسـيوط، فنزلا ينتظران القطار المُكيف الذي يليه، ثم جلسا على أحد المقاعد بجوار أحد الأكشاك وهما في حالة اعياء شديد بسبب ما لاقوه من متاعب السـفر، وبعد فترة شـعرت إيمي بالجوع فأخذت من لؤي ورقة نقدية من فئة المائة جنيه، وذهبت إلى الكشـك، فاشـترت زجاجة مياه صـغيرة وبعض العصـائر والأطعمة المُغَلَّفة، ثم جلسـت بجواره واعطته علبة عصـير وقطعة

كيك محشـو بالشـيكولاتة؛ فأكلا وشربا العصـير، وبعد فترة دخل القطار المحطة فأمســكت بيد لؤي وركبا القطار، ثم جلســا في مقعدين متقابلين فســألها لؤي عن حالها فقالت بفطور وهي تتثائب:
- أنا عايزة أنام.

ثم تدثرت بوشاح خفيف بعد أن شعرت ببرودة المكيف وضغط على زرٍّ بجوارها فرجع الكرسي للخلف ونامت، بينما تساءل لؤي في نفسه عن سبب كثرة النوم؛ أهي مُتعَبة أم تُريد الهروب من الواقع المخيف والليـل الطويـل بكثرة النوم؟! وكعادته يطرح على نفســه الأســئلة، ولا يجد لها إجابات، ولكنهُ تذكر البطاقة التي أخذها من الدكتور الجامعي، فأسرع بإخراج البطاقة من جيبه، ونظر إليها فوجد ما كان يخشـــاه دكتور (سام نور الدين)، فإخراج هاتفه وكتب الرقم الموجود في البطاقة فسمع بأذنيه رسالة مُسجَلة من شركة الاتصلات تقول الرقم الذي طلبته غير موجود بالخدمة.

حينئذ انتابه الخوف، وسرت القشــعريرة في جســـده، فحاول إيقاظ إيمي ولكنها تغط في سُـــبات عميق، فلم يجد شــيئًا ليفعله إلا أن قام من مجلســه وراح يتمشى في طرقة العربة ذهابًا وإيابًا، وهو يقبض ويبســـط كف يده اليمنى.. فلفتـت حركتـه المريبـة أنظـار الركاب فـأخـذوا يحـدجونـه بـإمتعـاض، ولكن أحـداً منهم لم يتكلم. وبينمـا هم كـذلـك لاحظ تركيزهم معه، ولكنه لم يأبه لهم وتابع المشي وهو يمرر يده علي رأســه بقوة كأنه يشــحذ أفكاره وقال محدثاُ

نفســه بصــوت عالٍ "كابوس ومش عاوز يخلص مُســتحيل تكون دي صــدفة مُســتحيل!". واســتبد بهِ الخوف إلي أن خطر بباله فكرة فعاد إلى مكانه مُسرعًا كأنهُ مريض اشــتد به الألم، فهرع لتناول العلاج، فأخرج هاتفه وفتحه وبدأ في الاســتماع لما تيسر من القرآن الكريم، فهدأ قليلًا ولكن صاحبته بعض الخواطر السيئة كموت إيمي وبعض الصور لمسوخ وأشباح مُخيفة، وتساءل مجدداً ما سبب كل هذهِ الأحداث والأحلام الغريبة؟ إلا أن انتبه لقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ).** (المائدة: آية 101)

فتوقف عن التفكير تمامًا ونام..

بعد مرور خمس ســاعات من النوم المتواصــل، وقف القطار على رصيف محطة القاهرة، فاستيقظت إيمي وعلى وجهها ابتسامة صافية كأن شيئًا لم يكن، ثم ايقظت لؤي وانطلقا إلى بيت جدتهم.

***

آزر

استيقظت إيمي من النوم في ظهيرة اليوم التالي لعودتهما من الأقصر ومن ثم توجهت إلى الحمام فنزلت إلى حوض الاستحمام، وكانت تُغني آنذاك، وهي تضع سائل الاستحمام على جسدها وأخذت تعبث بالفقاعات الناتجة عن الشامبو وسائل الاستحمام، بينما كان لؤي منشغلاً بتحضير وجبة الإفطار مع جدته في المطبخ، وبعد الانتهاء جلس الأخوان مع جدتهما على المائدة.

الطعام كثير ورائحته زكية تدل على أنهُ شهي، ولكن لا أحد يمد يده إلى الطعام أو يلتفت إليه كأن المائدة فارغة تمامًا من الطعام؛ فنظرت الجدة إليهما وهي تشعر بتغير طرأ عليهما؛ فسألتهما عن سبب عودتهما من الأقصر بهذهِ السرعة.. فأجابها الأخوان في نفس اللحظة:

- مفيش حاجة يا تيتا.

ثم شرعت إيمي في تناول الطعام، وفجأة رن هاتفها فاستأذنت جدتها وذهبت مُسرعة إلى غرفتها وهي متهللة الوجه، ثم بدأت المُكالمة وهي تنظر لنفسها في المرآة وتعبث بشعرها وتقول:

- من بعد ما خلصت الامتحانات مسمعتش صوتك فينك..؟

- مطحون في الشغل..

- عارف إنك مش واحشني

- ليه بتقولي كده!

- علشـان كل ما بنام بتجيلي في الحلم، آزر أنا عايزة أشـوفك دلوقتي..

- دلوقتي مش هينفع!

Please !.

- طب نتقابل الساعة خمسة في وسط البلد، تمام؟

- هتعزمني على ذرة مشوية؟

- معلش أنا مضطر أقفل معاكي علشان معايا شغل مهم، يلا سلام.

- سـلام يا روحي، ثم قَبِّلت الهاتف وضـمته إلى حضـنها كأنها تعانق حبيبها، وهي تتقلب على الفراش الوثيرة وتحتضـن الوسادة.

***

وسـط البلد، كافيه جروبي؛ جلسـت إيمي في سـأم تنتظر آزر وهي تشـعر بأن الزمن قد تمدد في مؤامرة كونية لإبعادها عن حبيبها.

الذي كثيرًا ما تساءلت في نفسها عن سبب حُبها لهُ؛ فلم تجد سـببًا واحدًا منطقيًا يدفعها لهذا الحب، فلا توجد بهِ ميزة واحدة تميزه عن غيره من الشـباب؛ بل علي العكس فهو أقلهم وسامة مُتواضع الشكل، رثّ الثيات؛ ولكن الحُب ليس كغيره من الأشـياء التي تخضـع لسـلطان المنطق الجامد، العقيم في بعض الأحيان.

وبعد دقائق رن هاتفها، فبدأت المكالمة..

- ينفع كده أنا مستنياك من نص ساعة فينك..؟

- دقيقة وهكون عندك.

- طب أهي الدقيقة خلصت..
- أنا واقف عند جروبي اطلعي ..

وقبل أن ينهي كلمته وجدها أمامه ومعها حقيبة فإعتذر لها عن التأخير، ولكنها لم تأبه له فهي منشـــغلة باللعب في دراجته النارية كالأطفال، وبعد أن فرغت من العبث بدراجته النارية اعطته الحقيبة وقالت:

- أنا جايبالك معايا كنز..!

فطفت على وجهه ابتسامة خفيفة وقال:

- إحســـاسي بيقولي إن الشـــنطة دي فيها كُتب، ومنها كتاب "انفعالات النفس"..
- كده بوظت المفاجأة يا رخم.

فاستل الكتاب من الحقيبة وامعِن فيه النظر ثم طفق يقلب في أوراقه بيديه المُتسـخة، و إيمي تحدق إلى صـندوق الـدليفري خلفـه، وتقرأ الكلمـات المكتوبـة عليـه بتلعثم "صـيدليان دكتورة نجلاء".. بينما كان آزر منشــغلاً بعشــقه الوحيد "الكتب". وسرعان ما تلاشت الابتسامة من وجه آزر فعاد للعبوس مجدداً، حينما شـــعر بأن هُناك مكروهًا قد أصاب أخاه الأصغر.. فإعتذر لإيمي، ووضع حقيبة الكتب في صـــندوق الدليفري وانطلق بدراجته النارية مُتجهاً إلى البيت مباشرة، فتبعتهُ إيمي بسيارتها إلى أن دخل أحد الأزقة الضيقة التي تُشبه جحر الضَبِّ؛ فلم تتمكن من اللحاق بهِ فنزلت من السيارة، ومضت خلفه عبر الأزقة الضيقة المتعرجة وهي لا تعرف عنوان بيته، وبعد أن قطعت شــوطًا كبيرًا من المشيـ توقفت عند أحد اَلمَنَازِلٌ الآيلة للســـقوط كأن هُناك أحدًا ما

قد أوعز إليها بأن هذا البيت يســـكنُ بهِ آزر، فدخلت وهي تمسح المكان بعينيها يمينًا ويسارًا؛ لعلها تجد شيئًا من أثره.. وبالفعل وجدت دراجته النارية خلف باب البيت الحديدي المُطل على الشـــارع، فرقت الدرج وهي تنظر تحت قدميها حتى تتفادى دراجاته المكسورة، وحتى لا يعلق بقدميها شيئاً من الحشرـات كالجرذان.. فهي تخشىـ الجرذان أكثر من أي شيئاً آخر.

***

وصـل آزر إلى باب الشـقة وهو محمل بالأفكار السـيئة التي تزداد حدتها كلما اقترب من الشـــقة؛ فتارة يتخيل أخاه وهو يلفظ أنفاســـه الأخيرة، ويفـارق الحيـاة، وتـارة أخرى يســـترجع ذكرياته المؤلمة حين فارقت روح أبيه الحياة منذ عام تقريباً، بعد صراع طويل مع مرض السرـطان الذي أورثه لابنه سامح شقيق آزر الأصغر؛ واستمرت معهُ هذهِ الأفكار إلي أن سـمع دوي صراخ أمه؛ فانتزع قلبه من صـدره وتسـمر مكانه في ذهول تام لبرهة من الوقت، وحين فتح باب الشـقة وجد أخيه قد صعدت روحه إلى بارئها..! وفارقت الحياة بعد أن اكتوت بنار الألم وتجرعت مرارة وذل الفقر! حينئذ شـــعر بأنه قد أصبح وحيدًا في هذهِ الكون الفسيح كجسد بلا روح، وبأن ذاكرته قد تجمدت على مشهد واحد لا يتغير وهو موت أخيه بين ذراعي أمه وهو عاجز عن فعل أيّ شـيئاً له، فانتابته حالة من الصرـع..! وهو يحاول أن يتماسـك ويسـتجمع قواه الخائرة حتى يتمكن من معانقة أخيه وتوديعه الوداع الأخير،

ولكنهُ لم يستطيع الوصول إليه وهو ملقى أمامه على الأرض، فسقط على الأرض فاقدًا للوعي.

***

بعد مرور يوم من موت ســـامح أخي وفقداني للوعي، استيقظت فوجدت نفسي مستلقي على سرير في إحدى غرف مُســـتشـــفى فاخرة لم أرَي مثلها من قبل؛ فنظرتُ من حولي فوجدت الجميع يحدقون بي وهم يحمدون الله على سلامتي ومن بينهم إيمي، وكانت بصحبة شاب يُشبهها كثيرًا، للوهلة الأولي شـــعرت بأن هذا الشـــاب هو أخيها، ولكنني لم أعبأ بوجوهم جميعاً، فأشحت وجهي بعيداً، وقلت محدثاً نفسي: "هكذا يموت الفقر". ثم عدت للبكاء مجدداً وأغمضـــتُ عيني في هدوء تام فاقدًا للوعي.

للحظة شـــعرت بأنه ثمة هناك قوة خفية تجذبني إلى عـالم اللاوعي، وتخبرني في منـامي بمـا حـدث للأخوين من أحداث غريبة وأحلام غامضـــة..! ورأيت بعيني تلك الفتاة المنتقبة التي قابلاها عند العطار، وهي تنزل إلى وادٍ ســـحيق في جوف الأرض، ثم أفقت مجدداً فوجدت الحاضرين من جيراني يسلمون عليهما ثم غادرا المكان..

***

بعد أن خرج الأخوان من غرفة آزر توجها مُباشرة إلى المصعد ونزلا فيه ومن ثم توجها إلى باب المُستشفى، وهما في الطريق التقيا بالأستاذ "منصور" مُعلم آزر الذي دَرَّس لهُ مادة الفلســـفة في المرحلة الثانوية والذي طالما حكى لها عنه آزر وعن مبادئه وتعاليمه.. كأنهُ يصفُ لها سقراط بالنسبة

لهُ، فسلم عليهما وشكر إيمي على ما قدمتهُ لآزر من مُساعدات بداية من إعطائه الكتب، وانتهاءً بتسديد حساب المُستشفى، ثم حاول جاهدًا إعطاءها جزءاً من المبلغ، ولكنها رفضت بشدة وقالت:

- آزر بالنسبالي مش مجرد زميل..!

ولكنها تذكرت وجود لؤي بجانبها، فأردفت:

- آزر زي أخويا.

ثم استأذنته وتوجها إلى خارج المستشفى صوب السيارة، ومن ثم انطلقا إلى بيت جدتهم، وبعد أن وصلا توجه كل منهما إلى فراشه قاصدين النوم على أمل اللقاء بمن يحبون في أحلامهما الرومانسية، فأخذ لؤي يتقلب على فراشه يمينًا ويسارًا؛ ولكن النوم ابعد ما يكون عن مقلتيه، فجلس القرفصاء على السرير، وأضاء لمبة صغيرة فانبعث منها وميض من الضوء الخافت، ثم توجه إلى شرفة الغرفة ليستنشق الهواء الطلق حتى يتسع صدره بعد أن شعر بنوع من الضيق.. فجلس على كرسي واسترخى وبدأ في مُمارسة هوايته المفضلة؛ النظر إلى السماء ومراقبة النجوم المُضيئة إلى أن نام.

***

الواحة

السماء ملبدة بالغيوم الداكنة التي تحجب رؤية المتأملين العاشـــقين للســـماء، والنجوم المضــيئة، الطريق طويل، والحمل ثقيل على ظهري، خاصــة بعد أن عصــفت بي رياح القدر؛ وتعطلت دراجتي النارية في وادٍ ســحيق مقفر لا يوجد به شــيئاً إلا أنا وطريقي الموحش المُظلم لا ثالث لنا. وفكرت مليًّا في الأمر؛ ماذا أفعل في هـذهِ الصــحراء المقفرة وقد تعطلت دراجتي وشلت حركتي؟!

***

للحظة تسلل الخوف إلى قلبي، فجلسـت بجوار دراجتي أنتظر حدوث شــيئاً مؤلم كعادتي المُتشـــائمة؛ ولكن على خلاف ما توقعت هلّت نســمة هواء منعشــة داعبت خدي، ثم عقبتها عاصفة ترابية ملأت الجو غبرة، فنهضت ووضعت حقيبتي على ظهري.. وودعـت دراجتي توديع الصــــديق لصديقه الوفي.. وقطعت شوطًا طويلًا من المشي على الرمال الناعمة التي كادت أن تبتلع قدمي إلى أن وصـــلت إلى مُنحدر شديد، فأخرجت هاتفي المتهالك من جيبي وأضأت الكشاف ووجهته صـوب المُنحدر؛ فوجدتُ سـلمًا منبسـطًا على ظهر هـذا المنحـدر فنزلـتُ ثلاث خطوات من الســـلم والخوف يملؤني.. خاصــة بعد أن ســمعتُ صـوت حفيف الأشـجار! وكأنهُ يقتربُ مني وأنا ثابت في مكاني لا أتحرك.. وأخذت أنظر يمينًا ويســارًا فلم أجد شــجرة ولا حتى فســيلة مغروســة في الأرض، فاســتعنت بالله وتابعت الســير وأنا أقرأ قول الله

تعالى: **(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).** (التوبة: آية51)

إلى أن وصلت لآخر السلم فوجهت ضوء الكشاف للأمام، فوجدت مفترق طرق يفصل ما بينهم نبات الصبار والأشواك التي تنبت في الصحراء، فسلكت أحد الطرق دون تفكير؛ فكلاهم بالنسبة لي يؤدي إلى المجهول. ولكن الشيء الذي لم أتوقعه أن أجد في آخر الطريق حجرة صغيرة دائرية الشكل مبنية بالطوب اللبن لها باب خشبي قصير، وحولها بعض أشجار الكافور التي تصدر صوت حفيف حين تحتضن الرياح العاصفة.

***

فأسرعت إلى الحجرة لكي أحتمي تحت سقفها وبين جدرانها من الغبرة التي تملءُ الجو، ففتحت باب الحجرة ودخلت؛ وإذا برجلًا عجوز أصلع الرأس، ضخم الجسد، ذو لحية بيضاء كثيفة كالثلج، وعينان رماديتان باهتتان، وكان يجلس على كرسي كبير ذهبي اللون كالعرش وأمامهُ طاولة حولها ستة كراسي بنفس اللون، ولكنهم أصغر من كرسيه وأمامه شمعة واحدة مشتعلة؛ فرجعتُ خطوة للخلف باتجاه الباب، ثم استأذنته بالدخول فأذن لي ولكن بشرط أن أخلع حذائي.

فنظرتُ إلى أرض الحجرة الترابية في دهشة و خلعتُ حذائي خارجاً كما قال لي بصيغة الأمر، ثم دخلت وأنا أشعر بانقباض في قلبي فالحجرة من الداخل أوسع من الخارج بكثير، وبدأت الأسئلة تدور في عقلي.. ما الذي جاء بهذا

العجوز الطاعن في الســـن إلى هـذا المكان الموحش؟ ومن يكون؟ وراودتني نفسيـــ بـأن أتركـه وأعود لأدراجي؛ ولكنني آثرت الصـــمت ومكثت في مكاني، بينما كان يراقبني هـذا العجوز الذي يشـــبه المســـخ؛ وأنا أتحاشى النظر إليه، ثم سألني قائلًا:

- ايه اللي جابك واحتنا يا آزر أنت مش خايف..؟

فأجبتهُ وعيناي لم ترتفع من على الأرض:

- وهخاف من ايه؟!

فابتسم العجوز ابتسامة ماكرة أشبه بتكشير الأسد عن أنيابه وقال:

- جذبك خوفك للخلف ودفعك فضولك للأمام؛ فلنا ما نأمر ولك ما تريد..!

وصمت هنيهة بعدها أردف قائلاً:

- الرياح انتهت يمكنك الرجوع..

فنظرت إليه بطرف عيني وأنا لا أفهم من كلامه شـــيئاً. وقبل أن أشرع في النهوض من مجلسي- أشـار إلى هاتفي قائلاً: (اِنْهِ مكالمتك أولًا وعد من حيث أتيت)، فازدادت دهشـــتي من هذا العجوز الغامض، وتساءلت في نفسي- مجدداً.. كيف علم هذا العجوز بأن إيمي ســـوف تتصـــل بي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟! وكيف اســـتطاعت شـــبكة المحمول أن تصـــل إلى هاتفي في هذا المكان الموحش الذي يســـميه هو بالواحة؟!

وحدجني بنظرة غاضـــبة وكأنه اســـتطاع قراءة أفكاري فأسرعتُ بإمساك هاتفي وبدأت المُكالمة على الفور قائلًا:

- آلو

- آزر أنت في البيت؟

فنظرت إلى العجوز وكأني أطلب منه أن يعطيني الإجابة المُناسبة؛ فأومأ برأسه علامة الإيجاب فأجبتها قائلًا:

- آاه في البيت.

- طب أنا ربع ساعة وهكون عندك.

- وأنا مستنيكي يلا سلام.

وبعد أن انتهت المكالمة اختفى العجوز واســتيقظت من النوم مفزوعًـا على رنـة هـاتفي المحمول؛ فنظرت إلى شـاشـته الباهتة التي تخفي أكثر مما تبدي، وإذا بإيمي تتصـل بي فبادرتها بالحديث قائلًا:

- آلو

وإذا بها تقول لي ما ســمعتهُ منها في الحلم كأنهُ مشــهد متكرر في حياتي.. انتهت المكالمة وجلســـت على الأريكة في ذهول! وأخذت أفكر في هذهِ الأمور العجيبة التي تحدث لي ولإيمي، وحاولت عابثًا ربط تلك الأحداث بالواقع؛ ولكن ما درسته من قواعد المنطق لم تستطع تفسير مثل هذهِ الأمور المعقدة العميقة.

ثم ذهبت إلى المطبخ وأعددت لنفسي كوبًا من الشـاي وأشـــعلت ســـيجارة، ومرت خمســـون دقيقة من عمري كخمسين سنة وأنا أشعل السيجارة من أختها وأترقب وصول إيمي بفارغ الصبر؛ لعلها تخبرني بشيئاً له علاقة بتلك الأحلام الغامضة.. ودعوت الله كثيرًا أن يلهمني تفسير هذا الحلم.

***

كانت إيمي تقود السـيارة بسرعة فائقة متجهة إلى بيت آزر وبجوارها لؤي، وهما في حالة قلق تامة بسـبب رؤيتهم لحلم واحد في نفس الوقت..

***

وصـل الأخوان إلي الحي الذي يسـكن فيه آزر فأوقفت إيمي السيارة أمام دكان صغير مغلق، ورفعت الزجاج وأغلقتها بواسـطة الريموت وتوجها مباشرة إلى بيت آزر الذي كان في انتظارها أمام البيت؛ فسـلموا عليه، ثم رقوا الدرج متجهين إلى شقته. وبعدها جلست إيمي بجوار لؤي على أريكة صغيرة أمامها منضـدة عليها تلفاز قديم مغلق تغطيه الأتربة كأنه لم يعمل منذ قرون، بينما ذهب آزر إلى المطبخ، ليعد لهم مشروبًا ساخنًا.

أخذ الأخوان يحدقان إلى أثاث الشقة البالي غير المريح، ويتبادلان النظرات في صـمت، ثم همسـت إيمي في أذن لؤي وهما ينظران باتجاه المطبخ..

***

دخل آزر وفي يده صـينية رعا فيها الصـدأ وعليها ثلاثة أكواب من الشـاي السـاخن، وكوب ماء زجاجي تسـبح فيه الشـوائب.. جلس آزر على كرسي خشـب بجوار لؤي، ثم أعطاه كوب من الشـاي وبعدها قدم لإيمي كوب آخر وارتسـمت علي وجهه ابتسـامة عابرة حتى لا يلاحظها لؤي، ثم وضع الصينية أسفل الكراسي على الأرض، وأخرج سيجارة من علبته التي كان يضعها داخل قميصه، وأشعلها مما أثار دهشتهما، فهما لم يروا أباهم ذات مرة يضع علبة السجائر

في هذا المكان الغريب داخل القميص، وراح آزر يســـحب أنفاسًـــا طويلة من ســـيجارته وينفثها بقوة، وقبل أن تصـــل الســـيجارة إلى المنتصـــف، ألقاها تحت قدمه، لأنهُ تذكر أن إيمي تُعاني ضيقًا في التنفس، بينما سألتهُ إيمي بدورها:

- آزر أنت بتعرف تفسر أحلام صح..؟

فســـألها عن حلمها وهو يقلبُ بصره بينها وبين لؤي بالتساوي؛ فقصت عليه ما رأتهُ في منامها، بينما هو يستمع لها بإنصات تام ويسألها بين حين وآخر عن أشياء مثل؛ موعد الحلم وعن إذا ما كانت تُفكر بشيئاً قبيل نومها، فأجابتهُ:

- وأنا بغســل أســناني كنت ببص في المرايا وحســيت إني مش شايفة مني غير عيني من جوة..

وأشارت بإصبعها إلى حدقة عينها وتابعت حديثها:

- في اللحظة دي حسيت إن في حد بيقول لي على أفكار كتيره مُخيفة

زي ايه مثلًا؟!

- مش فاكرة.. قالتها إيمي بانفعال.

- طب احكي باقي الحلم يمكن أفهم حاجة وأقدر أفيدك..

- حلمت إني صـــاحية في منامي وشـــايفة كل حاجة، شـــايفة نفس الراجـل المُخيف اللي جـالي في الكابوس في الأقصر وتصـــف لهُ شـــكله وتقول: (شـــوفته بيصـــحي لؤي من النوم وبيشـــده من إيده، ولؤي مرعوب).. ثم صـــمتت قليلًا كأنها خائفة من باقي الحلم أو من تفسيره، فبدأ لؤي في سرد أحداث الحلم قائلًا:

- وبعد كده خدني أوضـــة إيمي وصـــحاها من النوم، ولقيتنا معاه في مكان غريب وأنت كنت معانا في الحلم، وبابا ودكتور سام نور الدين والعطار.

فسأله آزر قائلًا:

- ممكن توصفلي المكان ده..؟

فـذكر لؤي أوصـــاف المكـان الـذي رآه آزر في حلمـه بالتفصـــيل كأنهُ كان معه في منامه.. حاول آزر إخفاء توتره وقلقه، ثم حك رأسـه بقوة، وأشـعل سـيجارة وهو متجه إلى شرفة صغيرة مطلة علي الشارع حتى لا تتأذى إيمي من رائحة دخان السجائر الكريهة، ثم سألهم بعض الأسئلة عن العطار وعن دكتور ســـام نور الدين؛ فقص عليه لؤي ما حدث لهما عند العطار والفتاة المُنتقبة، وما قالهُ له دكتور ســـام في محطة القطار، فخبرهما آزر بأن ما حدث لهما مجرد اتصـال ذهني ليس لهُ علاقة بتفســـير الأحلام لا من قريب ولا من بعيد. فاعجب لؤي بتفســـيره؛ أما إيمي، فلم تقتنع بكلامه وشـعرت بأنهُ قد توصـل إلى نتيجة أخرى، ولكنهُ احتفظ بها لنفسه.

***

بعد فترة قصـيرة تذكر آزر موعد علاج أمه التي أقعدها المرض طريحة الفراش، فإســـتأذنهما ثم ذهب إلى غرفة أمه، وأمسك بكيس بلاستيك أسود اللون به أدوية القلب والسكر والضـــغط، فأمســـك شريط برشـــام خاص بمرض القلب؛ فوجده فارغًا فأسرع بإخراج المحفظة من جيبه، ونظر في كل جيوبها، فلم يجد بها إلا بضعة جنيهات بالية، وبعض الصور

لعائلته البائســـة؛ فدعي ربه أن يفك كربه، ويرســـل لهُ طوق نجاة حتى يتمكن من جلب العلاج لأمه المريضـــة حتى لا تفارقه، وتلحق بمن رحلوا عنه.

***

وفكر أن يقترض بعض المال من إيمي ويرده لها حين يعود إلى عمله؛ ولكن سرعان ما رفض عقله تلك الفكرة وقال محدثاً نفســه: (هتستلف من ضيف عندك وكمان بنت..!) وظل في تلك الحيرة بين رأي قلبه وحكم عقله، إلي أن صرخ من أعماقه قائلًا:

- يااااارب الفرج من عندك! ثم خرج عليهما ووجهه صـــوب الأرض خجلًا منهما، فهو يعلمُ جيدًا أنهما قد سمعا ما قالهُ أو بعضـاً منه.. فرفع بصره باتجاههما تدريجيًا بهدوء شــديد؛ فوجدهما قد غادرا المكان ووجد حقيبة إيمي على الأريكة، فأمســـك بالحقيبة وركض خلفهما مُسرعًا حتى يعطي إيمي حقيبتها، ويسألهما عن سبب مغادرتهما للمكان بشكل مفاجئ دون إخباره..؟

***

وفي منتصـــف الســـلم ثقلت خطواته حين تذكر أمه المريضـــة؛ وراودتهُ نفســـه بأن يأخذ من الحقيبة ثمن علاج والدته، ثم يردها إلى إيمي، وبالفعل فتح الحقيبة ونفســـه تحدثهُ بأن ما حدث من ترك إيمي للحقيبة ومُغادرتهما للمكان بغتة؛ إنما هو استجابة لدعائه، فأسرع بالنزول مُتجهًا إلى أقرب صـــيدلية ليشـــتري لأمه العلاج. وسرعان ما عاد والســـعادة تغمره كأنه جلب لأمه (إكســـير الخلود)، وهو لا

يعلم أنهُ قد فات الأوان؛ فدخل من باب الشـــقة المفتوح مُسرعًا إلى أمه وفي يده العلاج، ثم هزها برفق، فلم تستجب لهُ وراح يهزها بقوة أكثر وأكثر، ولكنها لم تلتفت إليه، حينئذ شحب وجهه وسالت الدموع من مقلتيه، لتسقط على خد أمه وهو يحتضنها.

***

في مشـــهد مهيب به جمع غفير من الناس المحبين للمرأة الفقيرة التي عاشـــت حياة بائســـة الجميع متجهين في حزن إلى مقابر الصـــدقة لدفن الحاجة "فاطمة"، بينما كان يحمل نعشـــها خفيف الوزن في المقدمة ابنها آزر والأســـتاذ منصـور جارهم، وحين وصـولهم إلى المقابر تقدم باتجاههم رجلًا مسـن ذو وجه أسـمر ولحية بيضـاء طويلة، فربت على كتف آزر وهو يحمل النعش مكانه قائلًا: البقاء والدوام لله وحده، شّـــد حيلك يا ابني كلنا للتراب راجعين، فصرـــخ آزر قائلًا:

كلكم مشـيتوا وسـبتوني لوحدي...! حاول الأسـتاذ منصـور تهدئته قائلا:

- **(إنما الصبر عند الصدمة الأولى)** حديث من البخاري

ولكن تعزيته لم تستطع جبر ما كسر في قلب آزر في هذا العام الذي تســـاقطت فيه أوراق عائلته الذابلة، ورقة تلو الأخرى ولم يتبقَ سواه.

وفتحت المقبرة ودخل الرجل ذو الوجه الأسـمر، فتلقى جسمانها النحيل الذي اخترمه المرض! وهي مستقبلة للقبلة على جانبها الأيمن بعد أن مهد لها الأرض، ثم نزل آزر، وقَبَّل

أمه في جبهتها وتركوها تحت التراب، ثم ذهبوا وكل يبكي على موتاه.

***

المقبرة

واصــل متولي وابنه الأكبر جابر حفر تســعة أمتار في عمق الأرض أســفل البيت المهجور خلف فيلا المُهندس أحمد الفقي؛ ولكنهما لم يجدا المقبرة الفرعونية المخبوءة في هذا العمق، فإنتابهما شعور بالإحباط خاصة بعد أن تدفقت المياه بغزارة من جوف الأرض، فصــعدا إلى فوهة الحفرة وهما يتسـلقان بعض الألواح الخشـبية المُثبتة حول جدران الحفرة؛ حتى تمنع حدوث انهيار في تلك الحفرة العميقة، ولكي لا يتســاقط عليهما من الأعلى الطين الخارج من جوف الأرض..

فأخبر متولي المُهندس أحمد بشــأن المياه الجوفية، فتقلص وجهه وإزداد عبوساً، وركل بقدمه موقد النار فتناثرت جمرات النار المُشتعلة التي يستخدمها متولي في وضع أنواع البخور كريهة الرائحة التي تستخدم لتحضير الشياطين، وفي بعض الأحيان يضع منها على حجارة النارجيلة بديلًا للفحم.

والتف المُهندس أحمد في حركة فجائية سريعة، ثم أمسك بلهزمتي متولي وجذبه إليه قائلًا:

- أنت عارف المقبرة دي لو مطلعتش النهاردة أو بكرة بالكتير.. أنا هدفنك في الحفرة دي وابقي خلي شــياطينك تنفعك..

- حاول متولي عابثًا أن يفلت من قبضته الحديدية وجسده الضخم يرتعد وهو يقول:

- دي دموع حارس المقبرة..

- دا شيطان رومانسي فعلًا..!

قالها المُهندس أحمد ســـاخرًا من كلام متولي، ثم دفعه بقوة، فسقط أرضاً وكاد وجهه يلتصق بجمرات النار المُتناثرة على الأرض لولا أن يد جابر أمسكت بهِ من الخلف.

أخرج المُهندس أحمد ســيجارة من علبتة، ثم أشـــعلها وســحب منها أنفاسًـــا طويلة، ثم خلع حذاءه، وانتعل حذاء بلاســتيك أبيض طويل حتى لا يصــل الماء إلى قدميه، ونزل الحفرة وخيَّم الصمت على الجميع.. اقترب متولي وجابر من الحفرة في ترقب، ثم نظرا معًا إلى الأسـفل، فلم يروا إلا ظلامًا دامسًـــا.. فجثا جابر على ركبتيه، وأمســـك بيديه في الألواح الخشـــبية البارزة من فوهة الحفرة، ثم نزل بنصـــفه العلوي داخل الحفرة وحدق بقاعها فلم يرَ شـــيئًا، فنادى المُهندس أحمـد فلم يجِبـه، فَهَمّ بـالنزول إلى الحفرة بعـد أن ســـمع ضـــحكة مدوية تتردد في أرجاء الحفرة، ولكنهُ تراجع حينما رأى المهندس أحمد قد خرج من الحفرة، لكنه تســـاءل عن السرـــ الكامن خلف تلك النظرة الغامضـــة التي حدج بها المهندس أحمد أبيّه وهو خارج من المنزل.

***

بينما أمسك متولي بقطعة خشب يابسة، وصب عليها قليل من البنزين، ثم أشــغل عود ثقاب وألقاه على الخشــبة، فاشتعلت دون أن تُخرِج دخانًا، ثم طلب من جابر أن يذهب إلى البيت، ويُحضِرـــ لهُ طعامًا فأومأ جابر برأســـه علامة الإيجاب وانصرــف؛ وراح متولي ينفخ في النار ويضـــع بخور كريه الرائحة، وأخرج قطع لحم متعفنة من كيســـة ســـوداء

كانت بحوزته، ثم بال على النار وألقى القاذورات في أركان الحجرة وقلب ثيابه ثم وضع قطع اللحم علي جمرات النار، وبعد أن انتهى من إلقاء العزيمة حَضَّر. شيطانًا في صورة عبد شديد السواد قصير القامة طويل الشعر، له أذنين كبيرتين كأذن الفيل، أما وجهه ممسوح ليس له ملامح واضحة، وله سبعة أذرع طويلة كالأخطبوط ورجلين بهما أصابع طويلة بها مخالب كالأسد ولهُ ذيل طويل..

تقدم الشيطان باتجاهه، ثم لفّ أحد أذرعه حول عنقه حتى كاد أن يقتلع رأسه من مكانها، ثم لفّ باقي الأذرع الأخرى حول جسده ابتداءً من كتفيه وحتى قدميه وأخذ يعصره؛ فنفرت العروق في وجهه وقال وهو يتنفس الصعداء:

- (هو مجاش ليه)..؟!

فأجابه الشيطان في حَنِقَ:

- نفسك تتودع من سيدي قبل ما تموت؟

حاول متولي أن يفلت بنفسه من بين أذرع ذلك الشيطان مرارًا وتكرارًا، ولكن باءت كل محاولاته بالفشل وقال في فزع:

- قبل ما أموت..!

فضحك الشيطان بصوتٍ عالٍ وقال:

- أنت خلاص في عداد الموتى يلا نتقابل في الجحيم، ثم نزلّ به في عمق الحفرة، ودفن رأسه في الماء والطين، وبعد دقائق اختفى الشيطان تاركًا خلفه جثة متولي في قاع الحفرة التي حفرها بيده.

***

السيمياء الصغرى

اتضحت الصورة لآزر كليًا بعد وفاة آخر أفراد عائلته، فبعد أن أفاق من صدمته بصعوبة، بدأ التفكير في سداد ما عليه من ديون خاصة بعد أن أصبحت شبحًا يطاردهُ بالليل والنهار، فقد استدان من جميع المُحيطين بهِ، القريب والغريب البقال والجزار وبائع الخضار وغيرهم، حتى الشقة التي يسكنها لم يدفع إيجارها منذ ثلاثة أشهر.

وصاحب المنزل كان يشفق عليه نظرًا إلى سوء حاله ومرض أخيه وأمه، بالإضافة إلى وفاة أبيه في العام نفسه الذي حصد أرواح عائلته جميعًا واحداً تلو الآخر.

فلم يبقَ منهم أحد سواه، فذهب الجميع وتركوا الدين لصاحبه.!

وبعد مرور أسبوعٍ من وفاة أمه جاءهُ صاحب الشقة، ليطالبه بسداد ما عليه من دين.. وأنذره إن لم يسدد ما عليه الآن، فسيضطر إلى إخلاء الشقة للمُستأجر الجديد، وأمهله للغد حتى يتمكن من جمع أغراضه، وقبيل حلول الظلام، بدأ آزر في جمع أغراضه عازمًا على ترك الشقة، بل ترك الحي بأكمله، فقرر الذهاب إلى مكانٍ آخر بعيد لا يعرفهُ فيه أحد ليعيش وحيدًا بعيداً عن عالمه القديم، فترك الشقة ليلًا حتى لا يراه أحد من أصحاب الديون.! فيعطرد طريقه ويطالبه بسداد ما عليه من دين، قبل أن يرحل، أو يحرجهُ بكلمة بذيئة أو بنظرة ازدراء. ونزل السلم ببطء وهو يمرر أصابع يده على جدران المنزل، وحقيبتهُ على ظهره والدموع تسح من

مـــــقـــــلـــــتـــــيـــــه! وقـــــال:
- لقد انحدرت إلى عمق القاع، فلا ســـقوط ولا دموع بعد اليوم.
ثم تابع النزول حتى وصـــل إلى دراجته النارية، فاســـتقلها وانطلق إلى المجهول دون أن ينظر خلفـه، ليودع ذكريـاتـه الحزينة التي نُقِشَـــت على جدران هذا البيت كما نُحِتَت في ذاكرته تمامًا.

***

أثناء سير آزر بدراجته النارية على الطريق الصحراوي، وبعد مرور ما يقارب الساعة سمع لمحرك دراجته أزيزاً غريبًا؛ فتوقف ليريحها، ويستريح هو من عناء السفر، فنزل وأشعل سـيجارة وراح يشـد أنفاسًـا طويلة وهو يمسـح المكان حوله بعينيه، وسرد ذهنه حينما تذكر أن هذا المكان قد رآه في حلمه من قبل، فـدبّ الخوف في قلبه وعاد مسرعًا إلى الدراجة، وبدأ في تشـغيلها، ولكنها لم تعمل كما رأى في الحلم تمامًا...

فاستسلم للأمر الواقع ووضع مفتاح الدراجة في جيبه، والحقيبة على ظهره، ثم رمق الحجرة بنظرة متفحصـــة وقد بدت له من مكانه... فوجدها مثل الحلم تمامًا، ولكنه وجد بابها مفتوحًا كأن أحدًا ما في انتظاره، فأسرع بالدخول بعد أن خلع حذاءهُ وتركه خارج الحجرة، وبالفعل وجد العجوز في انتظاره وكان جالس على الكرسي نفســـه الذي رآه في الحلم، فجلس في المكان الذي أمرهُ بالجلوس فيه، وانتظر أن يأمره بشـيئاً آخر، فأعطاه كتابًا قديماً أكل عليه الدهر وشرب، وكان

عبارة عن مجلداً ضخمًا، ثم تركه ورحل في صمت تام؛ فتردد آزر بين المكوث في هذهِ الحجرة أو اللحاق بهِ، ولكنهُ جلس مكانهُ، ونظر إلى الكتاب فتوجس في نفسه خيفة حين لمسه بيده، فخرج خلف العجوز مُسرعًا لكي يلحق بهِ، ولكن سرعان ما اختفي العجوز كأنهُ تبخر في الهواء أو ابتلعتهُ الأرض، فصار جزءًا منها.

***

عاد آزر إلى الحجرة في يأس، ثم جلس على الكرسي الضخم مكان العجوز وأمسك بالكتاب محاولاً سبر غوره، وراح يقرأ في الصفحة الأولى بعينيه في صمت والخوف يملؤه، وكان يتساءل في نفسه عن السبب الذي دفع مؤلف هذا الكتاب الغامض إلى أن يكتبه كاملًا بخط يده دون أن يترك توقيعه عليه..؟ وازدادت دهشته حين رأى تشابهًا كبيرًا بين خط هذا المؤلف المجهول وخطه..! يكاد يكون خطًا واحدًا، ولكن هذا الكتاب يبدو أنهُ كُتبَ منذُ زمن بعيد بريشة وليس بقلم.

***

وكان محتوي الكتاب عبارة عن حروف باهته، ثم حروف وأرقام متفرقة ومتباينة في حجم الخط مما جعل محتوى الكتاب أكثر غموضًا وأشد تعقيدًا، فلم يفهم منهُ شيئًا. وأخيرًا رسمة لامرأة ممسوحة الوجه وبجانبها طفل صغير أسفل الرسمة نقوش غريبة تُشبه اللغة السريانية. وانتهت الصفحة الأولى، فأعاد قراءة محتوى الصفحة من جديد بتركيز أكبر وبصوت مسموع، وهو يشعر بأن تفسير كل

الأحداث الماضـية والحاضرة والأحلام الغريبة لها علاقة بهذا الكتاب الغامض، وعندما قرأ كلمتي "صـــاحب التراب" ألقى الكتاب من يديه بشـــكل مفاجئ كمن صـــعقه تيار كهربائي شديد، عندئذ سرت القشعريرة في بدنه؛ فأسرع بالخروج من الحجرة كأنهُ قد تذكر ما قالته الفتاة المنُتقبة لإيمي عند العطار، وما أحسته عندما سمعت هذا الاسم، فاستعاذ بالله من الشـــيطان الرجيم، ثم دخل الحجرة وأمســـك بالكتاب مجدداً وتابع القراءة من جديد على أمل أن يجد تفسيرًا لتلك الأحداث المتلاحقة أو إجابة للتساؤلات المتزاحمة في ذهنه..

***

واســتمر على هذا الحال إلى أن فتح باب الحجرة ببطء، ودخلت نسـمة هواء باردة؛ فأخذ يتثاءب ثم سرت في جسـده سـنة من النوم فنام وهو يحتضـن الكتاب بين ذراعيه ورأسـه فوقه، فرأى فيما يرى النائم أنهُ ذهب بصحبة إيمي ولؤي إلى دكان العطار وكان معهم رجلًا آخر؛ فسـألت إيمي العطار عن حقيبتها التي تركتها وذهبت عندما رأت الفتاة المُنتقبة، ورأى الرجل نفسـه الذي كان بصحبتهم بيده فأس يحفر بهِ الأرض في بيت مهجور ومعه رجلين اثنين يرتدي أحدهما زيًا صعيديًا وآخر يرتدي بذلة.. وبعدها رأى امرأة جميلة الشـكل، حسـنة المظهر، يحتضـنها مسـخ يُشـبه الشـيطان! ثم أفاق من النوم مفزوعًا وهو ينظر حولهُ يمينًا ويسارًا كأنهُ شعر بوجود أجسام غير مرئية تلمس جســده فمســح بيده على جســده وهو يقرأ آية الكرسي، ثم خرج من الغرفة ونظر إلى هاتفه فوجد إيمي قد حاولت الاتصال به أكثر من مرة! وفتح رسائل الواتس أب

فوجدها قد بعثت له برســالة تخبره فيها: (أنها عادت إلي الأقصر مجدداً بصحبة لؤي)..

***

بعدما قرأ آزر محتوي الرســالة، أيقن أن ما رآه في حلمه إنما هو جزءاً من الواقع، ولكنهُ تســاءل عن الرجل الذي كان بصحبتهم وعن تلك المرأة التي كانت تحتضن ذلك المسخ، وأخذ يحك رأســـه ويمرر يده على جيبه، فأخرج علبة الســجائر، وأشــعل ســيجارة.. ثم عاد إلى الحجرة مجدداً، فأمســك الكتاب وفتحه على الصــفحة الأولى؛ فوجدها قد تغيرت تمامًا فالحروف والأرقام المُتفرقة اختفت وحل محلها ورقة أخرى لها عنوان (السيمياء الصغرى).

بدأ آزر في قراءة السطور المكتوبة بخط يُشبه خطه إلى أن وصــل إلى آخر الورقة، ولم يفهم شــيئًا من هذا الكلام إلا أنهُ ســوف يمكث في هذا المكان الموحش مدة واحد وعشرــون يومًا بلياليهم.

***

خرج آزر من الحجرة بعدما قام بتنفيذ كل ما أُمِرَ به طيلة الواحد والعشرين يومًا؛ ولكن الأمر الغريب أنهُ لم يتذكر أي شــيئاً من تلك الطقوس الغامضــة والأســماء الغريبة التي كانت عالقة في ذهنه بســبب تكرارها بشــكل مُســتمر في تلك العزيمة أو الدعوة كما أسماها ذلك المؤلف الغامض، فجلس على جذع شـــجرة ملقى على الأرض جانب الحجرة، وانتعل حذاءهُ، ثم جثا على ركبتيه ونزل بفمه إلي بركة مياه عذبة لاحت له من العدم، فشرب منها دون لم يُدهَش من وجودها

بغته في هذا المكان المقفر؛ فهو يعلمُ جيدًا أن ســـكان هذهِ الواحـة هم الشــــياطين، ولكنـهُ ترك التفكير في تلك الأمور الغامضــــة، وانشـــغل بمتابعة حركة القمر وهو يطفو علي سـطح مياه البركة، وهو مُكتمل في أبهى صـورة ثم نهض وهو يزيـح الغبرة العـالقـة بثيابـة، وترك الحجرة والكتـاب وعـاد أدراجه.

***

الشيخ عارف

بعد مرور ثلاثة أســـابيع من اختفاء آزر وانقطاع أخباره عن الجميع كليًا وسـفر الأخوين إلى الأقصر-لاسـتعادة حقيبة إيمي الضائعة التي تذكرت بالمصادفة أنها قد نسيتها في دكان العطـار، ازداد الأمر تعقيـدًا؛ فـالعطـار اتهمهمـا بـالنصـــب والاحتيال، لأنهما قد جاؤوا على حد زعمه بصحبة رجل آخر وأخذوا الحقيبة منه.

أما إيمي فترى أن العطار قد أخذ الحقيبة، وسرق منها النقود، لأنهـا في هـذا الأثنـاء كـانـت في القـاهرة عنـد جـدتهـا بصحبة لؤي، وأخذا الأخوان يتجاذبا أطراف الحديث في هذا الشـأن مدة نصـف سـاعة تقريباً ثم افترقا. وتوجهت إيمي إلي غرفتها، ووقفت أمام المرآة وأخذت تنظر إلى نفسـها وتعبث بشعرها المنسدل وقالت في تعجب:

أنا بقيت بشـوفك في الحلم أكثر ما مبشـوفك وأنا صـاحية يا تري أنت فين يا آزر.

وظلت علي ذاك الحال لا تفعل شـــيئاً سِـــوَي التحديق لنفســها بالمرآة، والعبث بشــعرها، والتفكير بآزر، وبأحلامها الرومانسـية التي تجمعهما معاً، والتي أخذت تتزايد وتيرتها في الآونة الأخيرة، وقالت في نفسـها بعد أن لمع ثغرها بابتسـامة خفيفة، لابد أنه ثمة هناك طريقة خاصـــة لالتقاء الحبيبان، فحاجز الزمان والمكان لا يستطيعان أن يفصلا بين قلبين، إذا التحما معاً بفضل الحب فصارا قلباً واحد في جسدين..

وسرعان ما تلاشـــت تلك اللحظة الرومانســية حينما شـعرت بأنه ثمة هناك جسـمًا ما يهيم حولها في أرجاء الغرفة ويلمس جســـدها بين حين وآخر ..للحظة حاولت تكذيب إحســاســها وتابعت التفكير بآزر ولكنها شــعرت بقبضــة يد تمســـكها من ذراعها بقوة، فنظرت ببطء إلي موضـــع الألم فوجدت أثر أصـــابع غليظة علي ذراعها فخرجت من غرفتها وهرعت إلي غرفة لؤي وهي تصرخ .. بمجرد أن ســمع لؤي صراخها خفق قلبه، وهرع إليها؛ فوجدها ترتعد هلعًا، فسألها مستفهماً:

- مالك في ايه ؟!

فأحجمت عن الكلام ونظرت إلى ذراعها، وهي تبكي فرأى أثر أصـــابع غليظة على ذراعها؛ فســـألها عن صـــاحب هذهِ الأصـــابع ولكنها أحجمت عن الإجابة فظن أن هناك أحدًا ما قد حاول الاعتداء عليها وقبل أن يســـألها مجدداً دخلت عليهما صــباح بعباءتها الســوداء حِدادًا على والدها وفي يدها كوب من الليمون فقدمته لإيمي، فلم تلتفت إليها فأمســـك لؤي بالكوب وسأل صباح قائلًا:

- هو ايه اللي حصل؟!

- معرفش.. أنـا كنـت في المطبخ، وفجـأة ســمعـت الهـانم بتصرخ.

- طب روحي أنتِ دلوقتي.!

اقترب لؤي من إيمي ونظر إلى أثر الأصـــابع، ثم أعـاد سؤاله:

- صوابع مين دي؟

فقصت عليه ما حدث دون أن تذكر لهُ شيئًا عن رؤيتها المُستمرة لآزر في الحلم؛ فأمسك لؤي بهاتفه، وأخرج رقم أحمد سمعان واتصل به...

- أحمد أنت فين..؟

- أنا في البيت أنت اللي فين؟ رنيت عليك كتير وتليفونك كان مغلق..

- ممكن تجيلي البيت دلوقتي..؟

- خير في حاجة ولا ايه..؟

- تعالى بس وأنا هقولك على كل حاجة يلا باي..

***

الوقت يمر ببطء شديد ولؤي جالس بجوار إيمي في توتر، وأخذ يطرقع أصابع يديه، وينظر إلى ساعته وكأن عقارب ساعته ثابتة لا تتحرك.! ثم قام وأخذ يتمشى ذهابًا وإيابًا بين شرفة الغرفة والسرير في خطوات ثابتة، ويرنو إلى إيمي وهي نائمة تتقلب يمينًا وشمالًا، وتحكُّ جلدها بأظفارها الطويلة كأنها أُصيبت بجَربٍ! وصباح واقفة بجوار باب الغرفة تراقب المشهد عن كثب، إلي أن رن هاتف لؤي فقامت إيمي من النوم مفزوعة.. بينما أمسك لؤي بهاتفه وبدأ المكالمة قائلًا:

- أحمد أنت فين ؟

-. أنا قدام بوابة الفيلا.

- دقيقة واحدة وهكون عندك.

توجه لؤي ومعه صباح متجهين إلى البوابة، وعند وصولهما إلى جنينة الفيلا تراجع لؤي إلى الخلف وتابع السير

خلف صــباح، حتى وصــلا إلى البوابة الحديدية الضــخمة، فسـاعدها في فتح إحدى ضـلفاتها بينما فتحت هي الضـلفة الأخرى، ثم دخل أحمد وكان يقود سـيارة "حمراء" فنزل منها وســلم على لؤي، ثم ركب أحمد السـيارة وركب لؤي بجانبه وركبت صـــباح في المقعد الخلفي، وانطلقوا بالســـيارة حتى وصـلوا إلى مبنى الفيلا فنزلوا، وبدأ لؤي في سرد الأحداث علي أحمد بالترتيب ابتداءً من قصـة إيمي وأثر الأصـابع الضـخمة التي رآها على ذراعها والأصــوات التي ســمعها في حديقة الفيلا..

فرق أحمد عينيه وهو يتثائب كأنهُ يريد أن ينام، ثم سأله قائلًا:

- طب في حد تاني شاف الحاجات دي غيرك أنت و اختك..

- لا .

- طب ليه معرفتش باباك أو مامتك أكيد كانوا هيساعدوكم..؟

فابتسم لؤي ابتسامة يغشاها الحزن وقال:

- بابا وماما سافروا فجأة.

فصمت أحمد هُنَيهة وأردف قائلاً:

- علاجكم عند الشيخ "عارف".

- مين الشيخ عارف ده..؟

- ده راجل زاهد في الدنيا مفرغ حياته لعبادة ربنا وعلاج المرضى..

- هو ينفع نروح نجيبه بالعربية..؟

- لا مش هييجي معانا روح قول لأختك تلبس عباية ولا إسدال، وقولها بلاش لبس القاهرة..

- إيمي معندهاش لبس صعيدي..
فأدار أحمد وجهه للخلف ونظر لصباح قائلًا:
- البركة في صباح هي اللي هتجيب لنا اللبس...

فأومأت صباح برأسها علامة الإيجاب وذهبت علي الفور فأحضرت جلبابًا صعيديًا أسود اللون ووشاحًا، لستر شعر إيمي. ثم توجهت برفقة لؤي إلى غرفتها لإقناعها بارتداء هذهِ الثياب، فوافقت بالكاد بعد أن علمت بأن علاجها من هذا المس الشيطاني سيزول على يد هذا الرجل المبروك ذي الكرامات. كما وصفه لهم "أحمد سمعان"..

***

بعد دقائق خرجت عليهم إيمي في ثوبها الجديد، ثم توجهوا إلى السيارة ومن ثَمّ استقلوها وانطلقوا ناحية شمال القرية عبر طريق أسفلتي ضيق لا يسمح اتساعه بعبور أكثر من سيارة واحدة فقط، يحيط بالطريق من الجانب الأيمن ترعة صغيرة يعلوها بعض آلات الري والأحواض الأسمنتية، بالإضافة لبعض أشجار التوت والنخيل متفاوت الارتفاع، وعلى الجانب الآخر حدائق كبيرة ومليئة بأشجار البرتقال، وبين تلك الأشجار نخيل مستقيم الساق متوسط الطول، بالإضافة إلى بعض الأكواخ المبنية بالطين ومعروشة بجريد النخيل اليابس، على أطراف تلك الحدائق من الخارج.

***

الطريق طويل وغارق في هدوء ثقيل، والسماء ينقصها ضياء القمر وبريق النجوم التي اختفت تمامًا في تلك الليلة؛ فلم يظهر منهم إلا نجماً واحداً له بريقاً جذاب جهة الشمال..

بعد أن ضــغط أحمد على مكبح الفرامل توقفت الســيارة، فنظر لؤي للخلف ليطمئن على إيمي. وإذ بصـباح تضـع يدها على فخذة إيمي وهي نائمة لا تدر شـيئاً؛ فوجد صـباح تُحَرِّك إصــبعها الســبابة على فخذة إيمي بشــكل مريب كالقلم كأنها ترسـم أشـكالًا هندسـية مثل الدوائر والمثلثات والنجوم، وهي تغمغم بصــوت خفيض.. تجاهل لؤي ما تفعله وحاول إقناع نفسه بأنها تقرأ لها قرآنًا.

***

أما أحمد، فقد لمعت عيناه البنيتان الثاقبتان كأعين الصـــقر، حينما نزل من الســـيارة ورمق إيمي بنظرة إعجاب، وهي واقفة بالقرب من صباح خلف السيارة، بينما لؤي واقف بجواره وكان يحدثه عن غرابة هذا المكان، ولكن أحمد لم يُعِره أي اهتمام ورمق إيمي بنظرة متفحصــة، وأخذ يتملى في قسـماتها البديعة كأن لسـان حاله يقول إن الحجاب قد زادها نضرــة وجمالًا، وصـــوب بصرــه إليها مجدداً من الأعلى إلى الأســفل.. وثنايا جســدها الغض مرســومة بوضــوح تحت العباءة الضـيقة إلى أن وصـل لأصـابع قدميها البيض الدقيقة المســتقيمة.. وتخيل جســدها قائمًا بغير عظام، وطفت على وجهه ابتسامة خبيثة وهو يبتلع لعابه اللزج، لأنه لو لم يصلح لمبة الســيارة الخلفية ليلة البارحة لِمَ تســنى له رؤية هذا الجمال بوضوح؟.

***

تقدم أحمد باتجاه ممر جانبي ضــيق ومتعرج ومحاط بالأشــواك من الجانبين، وتابعوا الســير خلفه وكان الضــوء

المنبعث من هاتفه يشق حلكة الليل؛ وبينما كانت الأشواك تلتهم أقدامهم بشراهة، ساروا وسارت إيمي معهم.. إلى أن انزلقت قدمها في حفرة صغيرة، فسقطت أرضًا؛ فأمسكا بيدها أحمد وصباح وساعدها على النهوض مجدداً..

للحظة شعر أحمد بوخزة لم يدرك كنهها، وكأنه ثمة ناراً قد اتقدتِ بجسده، فأغمض عينيه حينما شعر بألم اعتراه من فرط اللذة؛ فيده لم تلمس يد كَيَدِها من قبل في النعومة والدفء.

***

وبعد أن قطعوا شوطاً من المشي. وصلوا إلى تل كبير من التراب، وكان أعلى التل حجرة صغيرة مبنية بالطوب اللبن ولها باب خشبي، تقدم أحمد وصعد التل، فلم يتبعه أحد؛ فنظر إليهم من الأعلى فتبعته صباح وهي تجذب إيمي إليها، بينما وقف لؤي هنيهة يتأمل المكان وقال:

- المكان ده أنا شوفته قبل كدة..!

تابع أحمد السير وقال دون أن يلتفت إليه:

- المكان ده اسمه تل عفار.

ثم قال محدثاً نفسه أنا عمري ماشوفت حد جبان بالشكل ده. فتبعهم لؤي بعد أن تذكر أن ما رآه في حلمه كان عبارة عن مكانًا مقفرًا وسط الصحراء في نهايته منحدراً شديداً يعلوه سلم جحري وليس تلًا من التراب كهذا.

***

بعد أن وصلوا إلى الحجرة، أخذت إيمي تحكُّ جلدها بقوة، وهي لا تدري ما سبب هذه الحساسية.. أهو التراب

الذي غطى قدميها؟ أم ثياب صـــباح التي تنبعث منها رائحة كريهة؟! وتقدم أحمد قليلًا ثم طرق الباب ففتح له شـــيخ مسن، وبمجرد أن رأته إيمي انتابتها حالة من الذعر؛ فاتسعت حـدقـة عينيهـا وخفق قلبهـا وتقهقرت للخلف، ثم خلعـت حجابها، وألقت بهِ أرضًـا وحاولت عابثة تمزيق ثيابها، ولكنها لم تستطع، وأخذت تصرخ وتقول:

- أنت عاوز مني ايه حرام عليك ارحمني..!

***

اقترب منها الرجل، ثم وضـع عصـاه الرفيعة التي تشـبهه في نحافة الجســد علي رأســها، وتمتم بصـوت يشــبه الهمس وهو يحرك أصابع يده اليمني أمام عينيها في حركات انسيابية، فاصدرت صوتًا غليظًا يشبه خوار البقر؛ فابتعد عنها الجميع بعد أن ســـمعوا هذا الصـــوت، ثم طلب الرجل من لؤي أن يُدخِل معها إلى الحجرة، فتقدم نحو الحجرة بينما هي تنظر إلى الســماء وهي شــاخصــة؛ فاقترب منها الرجل وهو يتمتم بكلمات لم يســـتطع لؤي ســـماعها، رغم قربه منه. وبعدها تبعتهم إيمي إلى الحجرة، فـأغلق البـاب، ثم أحضرـــ طبقًـا زجاجيًا ووضع فيه بعض الأشياء، وكتب عليه بزجاجة مسك بعض الكلمات بعدها أخذ الطبق، وصـعد إلى سـطح الحجرة بواسطة سلم خشبي، ثم أمسك بغربال ضيق الثقوب وطفق يهزه يمينًا وشــمالًا، وينظر إلى نجم في الســماء جهة الشــمال وهو يتمتم؛ بينما كان أحمد وصـباح يراقبانه من خارج الغرفة عن كثب إلى أن هبت عاصـفة شـديدة محملة بالأتربة كادت أن تقتلع الحجرة من على الأرض، فســـقط الرجل من فتحة

السقف على عنقه فخَرَّ قتيلًا، بينما احتمى أحمد وصباح من تلك العاصفة بواسطة بعض الأشجار.

***

نعيم

ذاع خبر وفاة متولي في قرية تل عفار كانتشـــار النار في الهشـيم، مما أدي إلي انتشـار الشـائعات بين سـكان القرية؛ فبعض الناس قالوا إنه مات مقتولًا على يد عصـابة من تجار المقابر الأثرية. وقال آخرون إن سـحره هو الذي قتله، وبينما يتداول الجالســـون في الطرقات والأزقة الحديث عن موته؛ وإذ بسيارة الإسعاف جاءت مسرعة، وتبعتها سيارة الشرطة متجهي جهة الشمال بالقرب من تل عفار.

***

في بداية الأمر ظن الجالســـون أن ســـيارة الإســـعاف والشرطة قد ضَلَّا الطريق، لأنهما قد ذهبا جهة الشمال تاركي موقع الحادث خلفهم، بينما هرع نعيم خلف سيارة الشرطة والإسـعاف وهو ينادي عليهم أن توقفوا وكان يشـير بيده إلى الجهة المعاكســـة، ولكن أحداً لم يلتفت إليه مع إنهم قد تمكنوا من رؤيته في مرآة الســيارة الجانبية وســمعوا صــوته بوضوح، فعاد الشاب إلى مجلسه أمام المسجد الكبير وسط القرية بالقرب من ديارهم (آل سـمعان)، وهو يتصـبب عرقًا فذهب أخوه الصغير وأحضر له كوب ماء ساقعًا من الثلاجة المثبتة أمام المســجد، فشربها نعيم على ثلاث دفعات، ثم وضعها جانبًا وهو يلتقط أنفاسه.. وبعد دقائق جاء رجلًا من جهة الشـــمال وكان يقود دراجة نارية ببطء، وحين اقترب منهم، عرفوه؛ ولكن تســاءل نعيم في نفســـه ما السر ـــوراء ذهاب ســيارة الإســعاف والشرطة إلى شــمال القرية تاركي

خلفهم موقع الحادث؟ وما سـبب وجود محروص المخبر في هـذا المكان؟ وحين اقترب منهم، ومر بـدراجتـه بـالقرب من أرجلهم حتى يتفادى الحفر التي تملأ وســط الطريق، حياهم فبادلوه التحية.. وناداه الحاج جوهر والد نعيم بعد أن كاد أن يتجاوزهم؛ فتوقف وسأله عن سبب توجه سيارتي الإسعاف والشرــطة من هـذا الاتجاه، فأخبره بأن هناك جريمة قتل أخرى وقعت بالقرية ليلة الأمس؛ فدهش الجميع ظنًّا منهم أن أحد أبناء متولي قد قام بقتل المهندس أحمد الفقي حتى يثأر لأبيه خاصـة أن جميع أصـابع الاتهام تشـير إليه، فسـأله نعيم بفضول قائلًا:

- من القاتل؟ ومن القتيل؟

فأخبره بأنهم قد وجدوا الشــيخ عارف في حجرته قتيلًا، ولم يستدلوا على القاتل إلى الآن، ثم استأذنهم وانصرـف تاركًا خلفـه وابلاً من الأســئلة... وبينما هم يتحـدثون عن هـذا الحادث؛ وإذ بســيارة فارهة تقف أمامهم فيفتح بابها من الـداخـل فتلفح وجوههم رائحـة العطر الزكيـة المنبعثـة من داخل الســيارة الممزوجة بهواء التكييف البارد، وينزل منها شاب وسيم لا يعرفه أحد منهم فألقي عليهم السلام.. فوقف الجميع ليرحبوا بهِ، لكن الحاج جوهر كان جالسًــا ينظر إليه بامتعاض دون أن يقول شــيئاً؛ بعد أن رأى ملابســه المُكَوَّنة من سروال قصير كحلي اللون وتيشرت أصفر بهِ رسمة حمراء لقرص الشـمس بالإضـافة إلى بعض الرموز الفرعونية يشـبه إلي حدٍ كبير ملابس الســياح الأجانب الذي اعتاد رؤيتهم في معابد الأقصر.

***

للوهلة الأولى توقع نعيم أن هذا الشاب لؤي نجل المهندس أحمد الفقي الذي حدثه عنه ابن عمه وصديقه أحمد سمعان، فسأل الشاب الحاج جوهر الذي بدا على ملامحه الجدية عن منزل أحمد سمعان، فأشار إلى منزل في مواجهة المسجد قائلًا:

- هو ده بيت أحمد.

ثم سأله عن اسمه فأجابه قائلًا:

- اسمي لؤي.

ثم توجه صوب البيت بصحبة نعيم الذي عرّفه على نفسه، وهو يطرق باب المنزل الحديدي وبعد دقيقة خرجت عليهما فتاة صغيرة متشحة بحجاب أسود، ونظرت من خلف الباب فوجدت نعيم ومعه شاب غريب لم تره قط..

فقال لها نعيم:

- أحمد هنا..

- دقيقة واحدة هناديلك علـ...

فقاطعها نعيم قائلًا:

- قولي له نعيم مستنيك في البيت ومعاه الأستاذ لؤي، ثم توجها إلى منزل نعيم فأجلس لؤي في حجرة الضيوف المُطِلة على الشارع، بينما ذهب بدوره، ليُحضِر له مشروبًا.

***

جلس لؤي وقد أسند ظهره إلى وسادة كانت بجانبه، ثم أخرج من جيبه شريطًا بِهِ برشام مهدئ، وأخذ منه قرصًا بعد أن استبد بِهِ القلق، ولكن سرعان ما داهمه صداع في الرأس

مصحوب بثقل في الأطراف نتيجة لهبوط اعتراه بغته، وازداد تدريجيًا الألم، فلم يستطع التحمل..! فوضع تلك الوسادة تحت رأسه.. وأضجع على الأريكة بعد أن رفع قدميه من على الأرض بواسطة يديه المرتعشتين.. دون أن يخلع حذاءه غير مبالٍ بما سيقول نعيم أو أحد أفراد أسرته، إن رآه على تلك الحالة.

***

عاد نعيم وفي يده صينية بها كوب كبير من عصير الليمون الساقع، وبجانب العصير طبق زجاجي كبير مليء بالفاكهة. وبمجرد أن دخل الجحرة فوجئ برؤية لؤي على تلك الحالة، فتسمر مكانه لبرهة من الوقت، ثم تقدم باتجاه الطاولة، ووضع عليها الصينية واقترب من لؤي وحدق في وجهه بتمعن، فوجد العرق يتصبب منه بغزارة وهو يهزي.

حاول نعيم إيقاظه فهزه برفق؛ فأبعد لؤي يده وهو يقول:

- أنا تعبان يا إيمي سيبيني نايم بقى.

ثم استدار إلى الجانب الأيسر واستقبل الحائط بوجهه واحتضن وسادة أمامه وعاد ليهزي مجددًا..

- لارا لارا

جلس نعيم على الأريكة المجاورة للؤي وأمسك بعنقود العنب، وأخذ منه حبة فوضعها في فمه وعصرها بأسنانه، ثم عاد للتفكير مجددًا في مقتل متولي والشيخ عارف وحدثته نفسه بأن القاتل أحمد الفقي، ثم رمق لؤي بنظرة تحمل في

طياتها الحيرة، لأنه لم يجد وجه شـــبه بينه وبين أبيه لا في الشكل والمظهر ولا في حدة الطباع وسوء الخُلُق.

***

بعد مرور بضع دقائق، سـمع نعيم صـوت أحمد يناديه من الشـارع، فقام وفتح له باب الحجرة المُطِل على الشـارع فدخل.. وسرعان ما خفق قلبه ظنًا منه أن لؤي قد أصـــابه مكروه، فهرع إليه وهزه بقوة؛ فاســتيقظ من النوم مفزوعًا، وسـقط على الأرض، فارتطمت سـاقه بالطاولة، فأسرع نعيم وأحمد وســاعداه على النهوض، ثم جلس على الأريكة وهو يئن.! بينما جلس نعيم عن يمينه، وجلس أحمد بجوار نعيم الذي أخذ بدوره في قراءة آيات الرقية الشرعية على لؤي، بعد أن وضع يده على جبهته..

***

للوهلة الأولي شـــعر لؤي بارتياح لم يشـــعر بمثله من قبل؛ حينئذ ملأت الطمأنينة قلبه، وسـكنت روحه، وفاضت عيناه بدموع التوبة، وكان كلما سمع آيات القرآن تُتلى بالقرب منه، إزدادت حلاوة الإيمان في قلبه، فعندما سمعه يقرأ قول الله تعالي **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِـفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَـارًا)**. أخذ نَفَسًـا عميقًا ثم ظفره بقوة كمن تخلص من براثن الشـيطان بداخله، وأصـبح حر الإرادة؛ ولكن سرعان ما سرت القشعريرة في جسده مجدداً..

حينها شـــعر بوجود أجســام غير مرئية تهيم حوله، بينما تابع نعيم قراءة آية الكرسي وهو يشير بإصبعه السبابة إلى جميع أركان الحجرة كأنه يصـنع جدارًا غير مرئٍ بينه وبين

قوة خفية تريد إيذاءهم، وأخذ يردد وقد عَلَّي صوته عند قول الله تعالى **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ).**

بعد سماع لؤي لتلك الآية، عادت إليه الطمأنينة مجدداً، فغلبه النعاس.. بينما سأل نعيم أحمد سؤالًا استنكاريًا قائلًا:

- أنت وديتهم لعارف!؟

فأجابه بتلعثم:

- هو رن عليا وسألني عن حد يعالج أخته، وأنت بطلت العلاج الروحاني من بعد أختك ماتعبت؛ فملقتش غير الشيخ عارف.

فاشتاط نعيم غضبًا وقال:

- أولًا: ماتقولش الشيخ عارف، ثانيًا: مفيش حاجة اسمها علاج روحاني؛ اسمه علاج بالرقية الشرعية. وبعدين أنا بطلت أعالج الناس تقوم توديهم لدجال أنت مش عارف إن ربنا قال: **(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا).** حاول أحمد تبرير موقفه فقال ساخراً:

- وهو الشيخ عارف من الجن؟!

فحدجه نعيم بنظرة قاسية وقال:

- لأ مش من الجن يا خفيف؛ لكنه ساحر وربنا قال: **(ولا يفلح الساحر حيث أتى).**

ثم تابع حديثه قائلاً:

- صــحيح أنت عرفت إن الشــيخ عـارف لقوه مقتول في أوضته..!

فتظاهر أحمد بالدهشــة كأنه لم يرَ بأم عينه ما حدث، وقال:

- هو مات إزاي؟!

- ماتستهبلش واحكيلي اللي حصل..!

فقص عليه أحمد ما حدث...

فابتسم نعيم قائلًا:

- ماتقلقش هتطلع نتيجة الطب الشرعي موت بالسكتة القلبية زي اللي قبله بالظبط، ما هي كدة آخرة خدمة الجن علقة.

ثم أحضر كوب ماء وقرأ عليها ما تيسر من آيات القرآن الكريم بصوت مسموع، وأيقظ لؤي وطلب منه أن يشرب من هذهِ الماء، فشربها لؤي دفعة واحدة حتى الثمالة كأنها إكسير الخلود.. عندئذ أخبره نعيم بأن عليه أن يترك تل عفار ويذهب هو وأخته، وحين سأله عن السبب قال (سحرة كتير يعني ضحايا كتير) وانتابته حالة من الغَمٌّ حين تذكر حادث قد ألم بأخته منذ زمن، فطلب منه لؤي بعد أن اعتدل في جلسته، وشعر بتحسن أن يأتي إليه بأخته حتى يعالجها، فقرأ عليه قول الله تعالى **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).** (الرعد: آية 11)

فسأله مستفهماً:

- قصدك ايه؟

فأجابه:

- أختك علشان تتعالج لازم هي اللي تبعد عن الجن الأول..

فهم لؤي بسؤاله مجدداً ولكنه آثر الصمن حين علم أن إجابة سؤاله سوف تحرجه، فسلم عليهما، وخرج واستقل سيارته وذهب.

***

العودة

كان ارتداد آزر على أثره وعودته إلى القاهرة بمثابة اتصال الروح بجسدها الممزق؛ خاصة وقد قتله شعور الحنين إلي الماضي، والذكريات الدافئة التي أبدلتها الظروف القاسية بشياطين الواحة، ولكن الأمر لم يزدد إلا تعقيدًا؛ فهو الآن في موقف لا يُحسَد عليه بين النوم على رصيف الشارع كالمتسولين، أو استأجر غرفة صغيرة فوق سطوح أي منزل آخر بعيدًا عن الحي ودائنيه، أو الرجوع إلى شقته القديمة وإعطاء الحاج سيف ما لديه من المال الموجود في حقيبة إيمي، ولكنه بذلك يكون قد خان الأمانة وضيع تعاليم معلمه منصور الذي كثيرًا ما حدثه عن المُثُل العليا كالخير والجمال والحق وعن المدينة الفاضلة، وبأنهم هناك لا يسرقون ولا يغدرون ولا يقتل بعضهم بعضًا، وكان دائمًا ما يشبه له تلك المدينة الفاضلة بمدينة رسول الله -صل الله عليه وسلم- لكن حنين آزر إلى الماضي غلبه؛ فقرر العودة إلى شقته على أمل أن تكون خالية من المستأجر الجديد، خاصة بعد أن تذكر تبديده لجزءاً من مال إيمي على علاج والدته، فقاد دراجته النارية قاصدًا شقته.. وعندما وصل إلى أول الزقاق الذي كان يقطن فيه، أوقف دراجته النارية حتى لا يوقظ صوتها المزعج أحد الجيران من دائنيه، فنزل من على دراجته، وأخذ يقودها إلي المنزل وهو مترجل وكان يراقب الطريق كاللصوص، وبعدما تأكد من خلو الطريق من المارة

ومن الباعة؛ أسرع بالتوجه إلى المنزل الذي تقع فيه شـــقته، وعندما وصـــل فتح باب المنزل ببطء شـــديد حتى يتفادى صـــوت صرير مفصـــلاته الصـــدئة، ثم أدخل دراجته النارية وتركها خلف الباب، و رقي الدرج على أطراف أصـــابع قدميه مسرعًا في بضـع وثبات، ثم فتح باب الشـقة دون تردد كأنه علي علم بخلوها من الســكان؛ فدخل الشـــقة وأغلق الباب وأســـند ظهره عليه بعد أن أنزل الحقيبة من على ظهره والتقط أنفاسه في إعياء شديد ثم أشعل سيجارة، وتوجه إلى المطبخ ليعد لنفسه كوبًا من الشاي آملًا أن يجد كل شيئاً في مكانه كما تركه من قبل؛ ولكنه لاحظ تغييرًا جذريًا في أثاث الشـــقة، فتقدم خطوتين للأمام، ومرر يده على أريكة ذهبية اللون موضوعة في الصالة.. وبغته سمع دقات قوية ومتتالية على باب الشـــقة كدوي انفجار قنبلة بجانب أذنه؛ فخفق قلبه.. وشـــحب وجهه.. وعقد حاجباه الخفيفان خوفًا أن يكون الطارق الحاج ســيف صـاحب الشـقة أو المســتأجر الجديد، فذهب وفتح الباب إيمانًا منه بأن وقوع البلاء أهون من انتظاره، وإذ بالحاج ســـيف أمامه يرنو إليه بنظرة حنونة يغلفها الغموض..

***

للوهلة الأولي لم يفهم آزر تلك النظرة، رغم فراســـته وحدة ذكائه، فوقف أمامه متســـمراً في تردد بين أن يدعوه لدخول الشقة أم يعتذر له عما فعل ويغادر المكان في صمت لحفظ ما تبقى له من كرامة.

للحظة غبط آزر الموتى في قبورهم، وتمنى لو كان واحدًا منهم؛ فهم أحسنُ حالًا منه يمتلكون ما لا يمتلك. فلهم مكان يُؤْوي رفاتهم، بينما هو طَرِيداً شَرِيداً لا أنيس له سِوَي ذاكرته الممتلئة بالأحداث المؤلمة..

وبادره الحاج سيف بابتسامة زائفة كذّبَتْها عيناه من خلف النظارة السميكة، ثم عانقه بشدة ولكن عناقاً باردًا كالثلج، ثم دخل الشقة وجلس؛ بينما كان آزر واقفًا يترقب في دهشة غرابة أطوار هذا الرجل، فطلب منه الحاج سيف أن يجلس بجانبه، فجلس أمامه على أحد الكراسي، حتي يتسني له تحليل لغة جسده، وران عليهما صمت طويل فلم يقلْ أحدهما شيئًا أو يفعل شيئًا سِوَي الانتظار والترقب، وبعد دقائق من الترقب، قطع الحاج سيف الصمت قائلاً وهو يعبث بمسبحته محاولًا إخفاء توتره:

- أنت كنت فين أنا رنيت عليك كتير وتليفونك كان مغلقً، ولما سألت الأستاذ منصور عنك قالي إنه ميعرفش أنت فين.

- كنت عند واحد صاحبي. المهم حضرتك عامل ايه والحاجة سمية عاملة ايه؟

فتقلص وجه الحاج سيف كأنه تذكر شيئًا مؤلمًا، ثم قص عليه ما حدث لهم في غيابه، بداية من رؤية زوجته لسبعة شياطين يطاردونها ويعذبونها في منامها بالليل، وحينما تستيقظ، تجد أثر ذلك التعذيب والحروق في جسدها، وبالنهار تسمع قرع طبول وضجيجًا في البيت، بالإضافة إلى ما رآه الأستاذ إياد المحامي حينما استأجر الشقة بعده، ففي اليوم الأول والثاني شاهد أشياء غريبة تحدث في الشقة؛

كتحرك الأثاث باستمرار.. وظهور لوحات غريبة على جدران الشقة بها رسومات غامضة ومخيفة، كرجل بدين قصير القامة، رأسه ملتصق بجسده دون عنق، وله عين واحدة في وسط بطنه تكاد لا تُرى من كثرة الوشم حول هذهِ العين؛ بينما وجه هذا المسخ ممسوح بالكامل. وفي اليوم الثالث ظهر له في الشقة رجلًا طويل القامة، ضخم الرأس متجهم الو جه، وفي يده كتاب ضخم أعطاه للأستاذ إياد، وأمره بألا يفتحه، وأن يتركه لك على هذهِ الطاولة، وأشار إلى الكتاب أعلى الطاولة الموجودة أمامه؛ فابتسم آزر وقال ساخراً:

- أسيبه في الصحراء يجيلي في الشقة، السابعة في الصحراء وعندي في الشقة، ثم أطلق ضحكة مجلجلة وهو ينظر إلى الحاج سيف ويقلب كفيه من الدهشة، ثم استأذنه وذهب إلى الحمام، وحينما عاد وجد كل شيئاً قد عاد لطبيعته السابقة؛ ولكن الحاج سيف قد اختفى.

***

انفرد آزر بالكتاب وبدأ الاطلاع على أوراقه الصُفر الذابلة مجدداً وطفق يقلب في أوراقه؛ فوجده قد اختلف تمامًا عن ذي قبل، فالنسخة التي بين يديه أكثر تنظيمًا، فالكتاب ينقسم إلي مبحثين رئيسين؛ فالمبحث الأول: (السيمياء الصغرى) يتكون من سبعة فصول.

الفصل الأول: يتحدث عن سيمياء الموتى وكيفية استحضار قرنائهم من الجن.

والفصل الثاني: يتحدث عن سيمياء الزمن، والسفر عبر الزمن.

والفصـــل الثالـث: يتحـدث عن ســـيمياء الأرض والكنوز والدفائن.
والفصل الرابع: يتحدث عن سيمياء المحبة.
والفصل الخامس: يتحدث عن سيمياء العذاب.
والفصـل السـادس: يتحدث عن القوانين الكلية الحاكمة لهذا الكون.
والفصـــل الســـابع: يتحدث عن ســـيمياء الدعوة الصـــغرى وأســـماء وصـفات الشـياطين الموكلين بتعليم هذا النوع من الســـحر. ولكن الشيـء الغريب أن هذا الكتاب يَذكُر أســـماء الشـياطين مع رسـوم توضيحية لأشكالهم؛ فأجسـامهم تشـبه أجســـام البشرـــ إلى حد كبير، ولكنهم أضـــخم ولديهم أذرع طويلة.

***

ففي الصـفحة السـابعة والثلاثين رأى شـيطانًا له جسـم إنســـان ووجه ثعلب متجهم الوجه، وطفق يقلب في أوراق الكتاب ويقرأ ولكن دون جدوي كأن عقله قد توقف تماماً عن أداء وظائفه، إلى أن وصـل إلى الصــفحة الحادية والعشرـين بعد المائة الأولى؛ وإذ بعينه تقع على صـــورة باهتة لنفس الرجل الكهل الذي رآه في الحلم والتقاه في الواحة، وكان يعلو رأسـه تاج أبيض، وممسـك باليد اليمنى صـولجانًا ذهبيًا على شكل رأس أفعى الكبرى وفي اليد اليسرـى سـيفًا مسـتقيمًا حادًا ولامعًا، أســفل الصــورة مكتوبة حروفاً متفرقة باللغة العربية لكن لا معنى لها.

***

لم يفهم آزر شـيئًا من هذهِ الصـفحة فتركها وأشـعل سـيجارة، ثم تابع القراءة في الصـفحة التي تليها، فوجد نفس الحروف المكتوبة أسـفل صـورة الرجل الكهل الذي التقاه في الواحة مكتوبة باللون الأحمر وبخطاً كبير في وسـط الصـفحة وأسـفل الأحرف صـورة لمربع داخله مثلث على كل زاوية من زوايا المربع والمثلث اسم ملك من ملوك الجن ..

حاول آزر ترتيب الأحرف حسـب أماكن تواجدهم في المثلث والمربع من اليمين إلي اليسار ومن الأعلي إلي الأسفل فكونت اسمه بالإضافة إلي اسم موسي "آزر موسي"

مرر آزر يده علي ذقنه، ثم أشـعل سـيجارة أخرى وهو يفرق عينيه بعد أن أرهقهما في ومشـاهدة صـور غامضـة وقراءة كلمات باهتة، ثم أعد لنفسـه كوبًا من الشـاي وعاد ليتصفح في هذا الكتاب مجددًا، وهو يتساءل عن السر الكامن في اسـمه واسـم موسي، ولكنه لم يجد إجابة لهذا السـؤال، ففتح الكتاب على الصـفحة السـابعة والتسـعين بعد المائة السـابعة.. فوجد صـورة لامرأة جميلة الشكل متسخة الثياب جاثية على ركبتيها أمام مسـخ دميم الخِلقة عظيم البنية وله ذراع واحد طويل يمسك به المرأة من شعرها المنسدل علي ظهرها، نفث آزر دخان سـيجارته في تلك الصـورة، وأخذ رشـفة من كوب الشـاي، وهو يتسـاءل في نفسـه عن السر الكامن وراء هذا الكتاب وما يحويه من رموز وصور وطلاسم، ثم عاد إلى الفصـل الأول الصـفحة الواحدة وثلاثون بعد المائة الأولي (سـيمياء الزمن). فلم يقرأ منها سـوى ثلاثة سطور وبعدها غرق في النعاس.

***

تابع آزر القراءة في الكتاب في الحلم من حيث انتهى في الواقع، فبدأ بقراءة السطر الرابع حتى وصل إلى السطر السابع ونهاية الصفحة؛ وإذ بهِ أمام مفترق طرق فدَنا من الطريق الأيمن ومشى فيه قليلًا، ثم وجد نفسه أمام فيلا ذات طابع كلاسيكي صفراء اللون يحيط بها نخيل الزينة والأشجار المثمرة من كل مكان، فدَنا أكثر من الفيلا، ورقى الدرج وهو يشيح بصره يمينًا وشمالًا، فلم يجد أحدًا سواه؛ فدخل الفيلا عن طريق بابها المفتوح، فوجد أمامه بهوًا واسعًا وتحت قدميه سجادة حمراء طويلة ومزركشة بخيوط سود لامعة، تنتهي هذهِ السجادة أمام سلم محاط بعمودين على شكل زهرة اللوتس الفرعونية، فرفع بصره إلى الأعلى فرآي سقفاً مرتفعاً ومقبباً، فخطف بصره نجفة ذات لون فضي متلألئ، ثم توجه نحو غرفة أيسر السلم، ففتح بابها الخشبي الطويل، ونام على فراش وثيرة داخل تلك الغرفة.

***

بينما يمر آزر بأحداث هذا الحلم، ويتقلب على الفراش يمينًا وشمالًا، هزّه لؤي برفق، فاستيقظ من النوم مفزوعًا، وجلس على السرير القرفصاء وهو يمسح المكان ببصره في ذهول، كمن باغته الموت وأيقظته الملائكة للحساب، فهو لا يدري لعل ما يراه الآن جزءاً من حلمه الطويل فقبيل دقائق من الآن كان يجلس في مكان آخر ويقرأ في الكتاب الغامض، ولكن سرعان ما تذكر المقولة الشهيرة لريني ديكارت (أنا أفكر إذًا أنا موجود). وأخذ يردد هذهِ الجملة.. استغرب الأخوان

من طريقة استيقاظه، ورمقاه بنظرة متفحصة، وخيَّم عليهم الصمت لبضع ثوانٍ.

بينما وضــع آزر يده على بطنه وهو مغمض العينين من الألم الذي اعتراه بغته.

بدا القلق على وجه إيمي فبادرت بسؤاله:

- أنت كويس؟!

فأجابها.

- بطني بتوجعني.

- شكلك أخدت برد وأنت راكب القطر امبارح..

فصــمت هنيهة والدهشـــة لم تزايله؛ فهو لم يركب القطار ليلة البارحة؛ ولكنه لم ينفِ ما قالته، وســـايرها في الحديث لعله يجد في كلامها إجابة لأحد التساؤلات المتزاحمة في عقله.

***

للوهلة الأولي شـــعر لآزر بأن ما حدث له في تلك الليلة ذكّره بأفلام الخيال العلمي التي تتحدث عن فكرة الســـفر عبر الزمن، ولكن البطـل في تلـك الأفلام لا يســـتطيع الســـفر عبر الزمن إلا بواســطة آلة للســفر عبر الزمن.. فهل يعقل أن يكون هذا الكتاب الـذي عكف على قراءتـه ليلـة البـارحـة آلـة الســـفر عبر الزمن؟! وانتشـــل الألم المتزايد آزر من براثن تلك الأســئلة اللامتناهية؛ فأغمض عينيه مجددًا، وضــغط على أســنانه، وأغلق قبضــة يده، وأخذ يضرب بها على السرير، ثم بادر بسؤال لؤي عن مكان الحمام فدله عليه.

وهما في طريقهما إلى الحمام تباطئت خطوات آزر تدريجيًا حتى وقف في البهو الواسع ذي السقف المقبب، وأشاح بصره يمينًا

وشمالًا فتأكد أن هذا المكان نفسه الذي رآه في حلمه، خاصة بعد أن رأي مزهريتان كانتا موضـــوعتان بجوار الســـلم، في مكانهما بالضبط.

كل ذلك وإيمي تتبعهما وتنظر لآزر ولســان حالها يقول إن هذا ما يفعله الفقراء عندما يدخلون بيوت الأثرياء الفخمة العريقة.. وقبل أن يصــل آزر إلي الحمام أدخل يده في جيب سرواله فوقعت يده على علبة السـجائر، فأخرجها وأشـعل منها سـيجارة ثم سـأل لؤي عن أبويه، أهم في الفيلا؟ فأجابه قائلاً:

- بابا وماما مسافرين.

فـاطمـأن قلبـه لأن أحـدًا لن يزعجـه؛ فـدخـل الحمـام وهو يســـحب من ســـيجارته النَفَس تلو الآخر في نهم، ونظر إلى وجهه الشـــاحب في المرآة، ومرر يده على لحيته الشـــعثاء، فتذكر أخاه سـامح حينما كان يسـاعده في حلاقة ذقنه، وكان يمسـك له المرآة الصغيرة، وقال "الأغنياء لم يتركوا للفقراء شيئًا إلا الله".

ثم نفث الدخان في المرآة، و عقد مقارنة في نفســـه بين من يســـكنون القصـــور ويتمتعون بملذات الحياة، وبين من مات أفراد عائلته واحدًا تلو الآخر ، ثم وضـــع القليل من غســـول الوجه على راحة يده، ومررها على وجهه.. للحظة شـــعر بأن مســـام وجهه تتنفس، وقـد تلاشي الألم تـدريجيـاً فخرج من الحمـام.. بينمـا كـان لؤي خارج الحمام ينتظره، فأعطاه فوطة فأمســـك بها وجفف وجهه، ثم ذهبا إلى المائدة لتناول وجبة الإفطار، فجلســوا جميعًا، بينما كان آزر واقفًا ينتظر أن يدعوه أحد للجلوس، فدعته إيمي للجلوس، فجلس بجوار لؤي بينما كانت إيمي جالسة أمامه تسترق النظرات إليه وبدأوا في تناول الطعام، وهم يتسامرون إلى أن توقف آزر عن تناول الطعام عندما تذكر مجلســه مع أسرته الصـغيرة على

مائدة الطعام البسيطة التي لا تتعدى الصنف الواحد أو الصنفين في أفضل حالتها.

لاحظ لؤي أن آزر قد شرد ذهنه فحاول إخراجه من تلك الحالة السيئة؛ فقال وهو يضع طبقًا من الفاكهة الطازجة أمامه:

- الأكل أكيد مش عاجبك صح؟!

فأجابه قائلًا:

- لأ بالعكس الأكل حلو.

فقاطعته إيمي وقالت:

- ولما الأكل حلو مبتاكلش ليه؟

فأجابها:

- كنت بفكر في الحاجات الغريبة اللي بتحصل معاكم وبحاول ألاقيلها تفسير.

ثم عاد إلى تناول الطعام مجددًا بعد أن أغلق نافذة نوستالجيا الحنين للماضي، وعاد إلى حياة الواقع مجدداً.

***

السيمياء الكبرى

اســتطاع آزر إتقان فنون الســيمياء الصــغرى على يد شياطين الواحة، ولم يبقَ له إلا تعلم السيمياء الكبرى كما هي مذكورة في المبحث الثاني من الكتاب سالف الذكر.

وأما الســيمياء الكبري فهي الجانب الأشــد خطرًا وأكثر تعقيدًا؛ فهذا الجزء يتحدث عن كيفية التحكم بإرادة الجن واســتغلال قدراتهم وإذلالهم إن اســتدعى الأمر ذلك، ويكون هذا عن طريق الدعوات أو العزائم التي يقوم بها الســـاحر الأعظم كما يســمونه في هذا الكتاب، وهنا يكون الجن هم الضــحايا لذلك الســاحر.. وعادة ما يحدث ذلك عن طريق الاستعانة بكبار قبائل الشياطين الأشد بأسًا والأكثر عددًا.

وهنا يكمن الفارق بين الســيمياء الصــغرى والســيمياء الكبرى؛ فالأولى الاســتعانة فيها تكون بالشــياطين لإيذاء البشر، وأما الثانية، فيستعين الساحر بالشياطين لإيذاء الجن.

ولعل النوع الأخير من الســحر هو الســبب الأول في القضــاء على كبار الســحرة في الآونة الأخيرة أمثال عارف، ومتولي وغيرهم الكثير والكثير، والآن لم يتبقَ أمـام آزر إلا القضــاء على ما تبقى بداخله من إيمان حتى يتمكن من الوصول للقب الساحر الأعظم.

***

بعد أن مكث آزر في الأقصرــ ثلاثة أيام بلياليها، عاد إلى القاهرة بصحبة الأخوين لؤي وإيمي ومن ثم توجه إلى شقته، ثم عكف على قراءة المبحث الثاني من الكتاب "الســيمياء

الكبرى". إلى أن وصل إلى الصفحة السابعة والسبعون بعد المائة التاسعة، وإذ بالدعوة الكبرى أمام عينيه، ولكن سرعان ما اختفى محتوي الورقة من أسماء وأرقام ورموز كأن الشيطان يذكره بشيئاً ما قد نسيه، وبالفعل تذكر مقولة الشيطان له حين التقاه في منامه في الواحة "لنا ما نأمر ولك ما تريد".

حينها تذكر أن الشيء الوحيد الذي لم يقم بتنفيذه هو قتل لؤي وإيمي وأكل بعض أعضائهم مثل القلب..! وذلك حتى يتسنى له الارتقاء في أعلى درجات السيمياء الكبرى كما وعده الشيطان بذلك من قبل.. **(وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)** (النساء: آية 120)؛ فسيمياء الموتى ما هي إلا جوهر مُظلم للسيمياء الكبرى، ولكن آزر وعي ذلك مؤخرًا..

ولكنه لم يستطع الإقدام على مثل هذا الفعل الشنيع حتى وإن كان الدافع وراء ذلك رغبة الشياطين الملحة، بالإضافة إلي نار الحقد المتلظية بداخله؛ فلديه اعتقاده راسخ بأن وفاة أسرته واحدًا تلو الآخر لم تكن من قبيل المصادفة، وإنما هي بمنزلة اغتيال متعمد قامت بهِ طبقة الأغنياء متمثلة في دكتورة نجلاء صاحبة مجموعة الصيدليات التي كان يعمل بها والتي منعته من الحصول علي العلاج اللازم لأفراد أسرته أكثر من مرة، ولكن هل هذا سبب كافٍ لحمل كل هذا الحقد والضغينة تجاه عائلة دكتورة نجلاء أم أن هناك سببًا آخر؟ الحقيقة لا أدري، ولكن الشيء الأكيد أن صديقنا آزر ما زال محتفظًا بجزءاً صغيراً في قلبه لسلطان الدين متمثل في صراع النفس اللوامة مع النفس

الأمارة بالسوء، فالأولي تقوم بمحاسبته على فترات متفاوتة وفي مواقف مختلفة، بينما الأخيرة تحاول جاهدة حسم هذا الصراع الخفي لصالحها في خضم هذهِ المعركة العنيفة. فمع مرور الوقت، تصبح قوي الخير داخل النفس خائرة العزم مسلوبة الإرادة، بينما ينمو الشر وتتأصل جذوره نتيجة لاتباع النفس للهوى.. وتذكر آزر حديثاً كان قد سمعه ذات يوم في أحد المساجد ولا يزال عالقًا في ذهنه إلى الآن **"لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصيب دمًا حرامًا".** صحيح البخاري

***

وضع آزر الكتاب جانباً وشرع في القيام من مجلسه والخروج من الشقة ولكنه فوجئ بحضور شيطان الواحة، في ثياب رمادية اللون، ملكية التصميم، وعلى رأسه تاج من نار مشتعلة؛ ولكن الشيء الغريب إنه لم يحضر له بالشكل المألوف نفسه، ولعل الشيء الأغرب من ذلك أن آزر يعرفه ويستطيع تمييزه من بين سائر الشياطين مهما غيّر في شكله وبَدَّل ثيابه.. وطفت على وجه الشيطان ابتسامة خبيثة كنذير شؤم كأنه علم بما حاك في صدره من وساوس وما جال بخاطره من أفكار، فحدجه بنظرة قاسية وعيناه تقدحان شررًا، ثم قال:

- مش تفتح الباب لضيوفك..!

وإذ بباب الشقة يطرق بعنف كأن الشخص الطارق فار من وحش يطارده، فقام آزر في عجالة وفتح الباب وإذ بلؤي وإيمي أمامه، فبادره لؤي قائلاً: "أنت كويس؟" بينما لم تستطيع إيمي التماسك أكثر من ذلك؛ فهوت علي الأرض

فاقده للوعي.. كل ذلك وآزر لا يفهم شـيئاً مما يحدث حوله؛ فهو كأعمى يقود عميانًا إلى المذبح في ظلمات الليل البهيم، فلا هو يراهم ولا هم يعرفونه.

***

حمل آزر ولؤي إيمي واضجعانها على أريكة في الصالة، وذهب آزر ليُحضِرـ لإيمي كوب من الماء، بينما أمسـك لؤي بالكتاب الضـخم الموجود على الطاولة أمامه؛ وإذ بأوراق الكتاب كلها بيض وفارغة تمامًا من محتواها..

عاد آزر وفي يده اليمنى كوب من الماء، فاقترب من إيمي وبمجرد أن وضـع الكوب على شـفتيها أفاقت مفزوعة كأن الشـيطان الهائم بجوارهم قد لامس جسـدها؛ وبغته أوصـد باب الشـقة بقوة نتيجة لهبوب عاصـفة ترابية، فلم يكد أحدهم يرَ شـيئًا من حوله، فأمسـك لؤي بيد إيمي، وجلس بجانبها على الأريكة وهما يرتجفان هلعًا؛ بينما جلس آزر على كرسي في الجهة المقابلة وكان ممسكاً فيه بإحكام، ووضع يديه على عينيه في صـمت مترقباً ما سـيحدث، واسـتمر هذا الوضـع لبضـع دقائق إلى أن هدأت الرياح، وذهب غبارها، ففتحوا أعينهم عن كثب فوجدوا أنفسـهم في الواحة نفسـها التي رأوها في منامهم، ومكث فيها آزر واحدًا وعشرين يومًا.

***

للوهلة الأولي وقف الثلاثة وهم متسـمرين في أماكنهم يتسـاءلون عن السـبب الذي دعى موسى العطار إلى التواجد في مثل هذهِ الصـحراء الجرداء المقفرة وسـط هذا المحفل الشـيطاني الكبير.. أهو خادم تلك الشـياطين؟ أم شـيطان

مثلهم؟ أم هو ســـيدهم؟ أم ماذا؟! ولكن بماذا تفيد الإجابة عن كل هذهِ التســاؤلات المتزاحمة في أذهانهم ما دام الوقت قد فات؟ وحانت لحظة الانتقام وأَخْذ الثأر من أحمد الفقي، الذي أختطف ابن موسى الوحيد منذ خمسة عشر عامًا حين سرق منه مقبرة أثرية. ولم يدري إلى الآن أهو حي أم ميت..؟ ولعل هذا الانتقام قد بدا جليًا في عيني موسى والشـــياطين المحيطين بهِ من كل حدبٍ وصــوب؛ ففي الســـماء يحلق الشياطين الطيارون بإمرته، وعلى الأرض يصطف الشياطين الأرضــيون بإشــارته في شــكل دائري، ووســط هذا الشــكل الدائري مربع كبير بداخله مثلث على كل زاوية من زوايا المربع والمثلث ملك من ملوك الجن، يحيطون بالأصـــدقاء الثلاثة داخل هذا المثلث الضـــخم، وأمامهم موسى وهو ممسك بالكتاب الضخم نفسه الذي كان لدى آزر منذ قليل في الشقة.

***

والآن بـدا الأمر جليًـا لثلاثتهم كوضـــوح الشـــمس؛ فجميعهم وقعوا في نفس الفخ الـذي نصـــبـه لهم موسي بإحكام.

للحظة أدرك آزر أنه ليس الساحر الأعظم، وأن الساحر الأعظم هو موسى العطار. وقبل أن يشرـــع موسى في إلقاء الدعوة الكبرى، حاول آزر تعطيله قائلًا:

- ايه اللي بيحصل ده؟! وبعدين أنت مين؟ وعاوز مننا ايه؟

فابتســـم العطار، وصـــمت هنيهة، بعدها انفجر بالضـــحك قائلاً:

- أنت أكتر واحد فيهم عارف أنا أبقى مين. أما سـؤال عاوز منكم ايه؛ فإجابتي عليك نفس الشيء اللي أنت عاوزه من لؤي وإيمي، فهمس لؤي في أذن آزر قائلًا:

- هو عاوز مننا ايه؟

فوكزه آزر بغيظ وهو يصرخ قائلًا:

- أنت هتفضل غبي لحد إمتى؟! عاوز يموتنا.

فشـحب وجه لؤي فَوْرَ سـماعه لتلك الكلمات الثقيلة، وشعر باقْتِراب النهاية؛ فسرت القشعريرة في بدنه، وأخذ يبكي وهو يرنو لآزر ويقول:

- وأنت كمان عاوز تموتنا يا آزر..!

ثم ضم إيمي إلى حضنه والألم يعتصر قلبه بعد أن سمع أخته وهي تهزي باسـم حبيبها آزر وهي فاقدة للوعي ولسـان حاله يقول.. ما أصـعب اجتماع الخوف والخذلان معاً. فهما الآن كمن يستجير من الرمضاء بالنار.! ثم أخذ يتوسل للعطار قائلًا:

- حرام عليك، إحنا مأذينكش في حاجة.. سيبنا نعيش!

فصاح موسي في وجهه قائلًا:

- ومش حرام أبوك يقتل ابني الوحيد ويكسر قلبي عليه؟

فطأطئ لؤي رأسـه في يأس، بينما نظر موسى إلى الأرض الترابية تحت قدميه؛ فأهتزت وخرج منها شـيطان ضـخم البنيـة كبير الرأس لـه أرجـل عنكبوت وأذرع كـالأخطبوط، فتقـدم بـاتجـاه الثلاثـة.. ولؤي وآزر يتراجعـان إلى الخلف ويسـحبان إيمي معهما حتى لا يؤذيها هذا المسـخ، ولكن سرعان ما أمسك بهم.

ثم تقدم الشيطان الواقف خلف موسى على زاوية رأس المثلث، وهمس في أذنه ببضع كلمات تغيرت لسماعها قسمات وجهه، وبدا أكثر تجهمًا وعبوسًا؛ حين ظهر أمامه دكتور سام وقد جاء من العدم وهو ممسك بيده اليسرى بتلابيب أحمد الفقي.. وفي يده اليمنى صولجان مرسع بقطع من اللؤلؤ اللامع؛ وإذ بهِ يضرب بهذا الصولجان ذلك المسخ الممسك بالثلاثة فيرديه قتيلًا في التو واللحظة؛ فسقطوا من قبضته وأفاقت إيمي بينما بدأ موسى في إلقاء الدعوة الكبرى قائلًا:

- أعزم عليكم يا سكان التراب.. وحملة سلسلته وسيفه والمحلقون، فوق السحاب وتحت النجوم، أجيبوا لسيدكم آزر.. وأخذ يردد الاسم في ذهول آزز..آزر .. وهو غير مصدق، بينما أطلق دكتور سام ضحكة مجلجلة وإنتشر الهرج والمرج في صفوف الشياطين، وعلت الأصوات مرددة:

- موسى مش الساحر الأعظم؛ ولكن ما هذا اللغز العجيب يا ترى؟! ألم يختفِ محتوى هذا الكتاب الغامض من آزر منذ بضع دقائق؟ ونتيجة لذلك تخلت عنه الشياطين..

فقاطعهم سام وقال موجهًا حديثه لموسى:

- مش تعرف الأول آزر يبقى ابن مين؟!

فأجابه موسى بسخرية قائلًا:

- هيكون ابن مين يعني؟!

فتابع سام قائلًا:

- آزر يبقى ابنك. فدُهِش الجميع دهشًا شديدًا باستثناء سام وأحمد الفقي، وهنا علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب،

وفُضِـح أمرهم أمام السـحرة الموجودين، وبدا كذب ادعائهم في ما جاءوا بهِ من سـحر في السـيمياء الصـغرى والكبرى وغيرها، وأردف سام قائلًا:

- أنت مخدتش بالك من تجميعة الأحرف السـبعة المكونة لأسـماء الملوك السـبعة بتوعك؛ وقصـد بذلك تلك الأحرف السـبعة التي قـام آزر بتجميعهم في الصـفحـة الحـاديـة والعشرين فكانوا كلآتي "آزر موسي" وتابع سام قائلاً:

- بس مش ده اللي أنا مسـتغرب له الغريبة أنك مشـوفتش وجه الشـبه اللي بينك وبينه؛ يمكن علشـان القلب اللي بيشوف وأنت قبك مات من كتر السواد والشر!؟

في تلك اللحظة بدا على موسى الذهول؛ بينما صـاح آزر قائلًا:

- أنـت أكيـد مجنون.! أبويا مـات! أنـت بتحـاول تنقـذ لؤي وإيمي من الموت.

ابتسم سام في هدوء وتابع قائلًا:

- طب بذمتك أنت شـبه أبوك وأمك اللي ربوك؛ فصمت آزر ولم ينبس ببنت شفة، بينما تابع سام قائلًا:

- طب شبه أخوك سامح؟ طب شوفت صورة ليك مع أبوك وأمك وأنت صـغير؟ فصـمت آزر هنيهة.. كأنه يقلب كلام سام في رأسه، ثم وضع يديه على رأسه وصرخ قائلًا:

- أنت كداب كداب ..

فاقترب منه أحمد الفقي، وربت على كتفه قائلًا:

- موسي يبقي ابوك؟!

لم يُلقِ آزر بالًا لما قاله أحمد الفقي، بينما تابع أحمد حديثه قائلًا لموسى:

- ابنك عندك أهو، أنا مقتلتوش.

موسى:

- أنت مقتلتش ابني، أنت قتلتني أنا لما بعدته عن حضـــني طول السنين دي، وجاي دلوقتي تقولي ابنك أهو روح يا شيخ الله لا يســـامحك، ثم أخرج من فتحة في جلبابه خنجرًا، وطعنه بهِ عدة طعنات في أماكن متفرقة من جســده، وكانت طعنة واحدة تكفي لقتله بهذا الخنجر المســموم؛ فســقط أحمد الفقي على الفور جثة هامدة..

وقف الجميع متسـمرين في أماكنهم في حالة ذهول تامة؛ بينما هرعت إيمي إلى جثة أبيها، بعد أن اســتجمعت قواها الخائرة، وطفقت تهزه بقوة وتقول بصــوت مبحوح ممزوج بالبكاء:

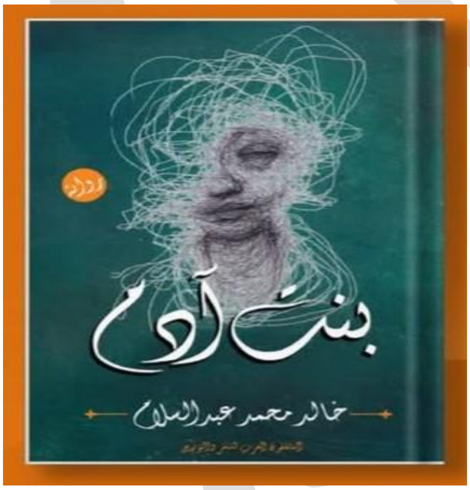
- رد عليا يا بابا...

أما آزر، فقد انتزع كتاب الســحر من يد موسى بالقوة، وأضرم فيه النار بواســطة عود ثقاب وأعلن توبته إلى الله من هذا الشرــك والدنس، وأخذ يردد " مش كل علم نافع ومش كل جهل ضار"، ثم اختفى جميع الشياطين باحتراق الكتاب، ولم يتبقَ إلا سام نور الدين الجن الصالح.

***

تمت بحمد الله

صدر للمؤلف أيضاً



" ما أبشـــع أن تولدين أنثي في هذا المجتمع اللئيم، وســـط هذا الظلام البهيم، أليس من حقكِ ألا تكبرين، أليس من حقكِ الموت الرحيم، الذي يجبر كسر القلوب، ويســـتر كل العيوب، ألم يأن للمغتصـــبة أن تتوب، في عصراً قاسٍ لا يلين، إنه عصر الجاهلية الحديثة، حيث أرض وعرض الفتاة مباح، وأكل مال اليتيمة متاح ".